

أدبيّات النّهوض

الشعائر الحسينية
من المظلومية إلى النهوض

شفيق جرادي



معهد المعارف الحكمية
للدراسات الدينية والفلسفية
The Sapiential Knowledge Institute
For Religious & Philosophical Studies

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)

الشعائر الحسينية

من المظلومية إلى النهوض

اسم الكتاب: **الشعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض**

المؤلف: شفيق جرادي

الناشر: **معهد المعارف الحكمية** (للدراسات الدينية والفلسفية)

إخراج الكتاب: Idea Creation

عدد الصفحات: 176

القياس: 21.5x14.5

تاريخ الطبع: حزيران ٢٠٠٧

الشعائر الحسينية
من المظلومية إلى النهوض

شفيـق جرادي

الطبعة الأولى

[١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م]



معهد المعارف الحكمية
للدراسات الدينية والفلسفية

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢ - ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفصل الثالث:

مقدمة

عند أول سهم غدر، انطلق نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ومع دخول قرار التصدي للظلم والفجور إلى حيّز المواجهة المعلنة والمفتوحة، دخلت الشعائر الحسينية إلى قلب التاريخ والوجدان الإسلامي.

فصارت كل كلمة، وكل موقف، كل ذكر وصلاة وجهاد ووداع، وحادثة جرت في كربلاء... وضمن الخط الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام تمثل عَلَمَاً ومَعْلَما، من أعلام الحق والنهضة ومقاومة الباطل... بل صارت شعيرة يتعبّد من خلالها الأحرار روح الموقف الثابت في تحدي كل الصعوبات والمخاطر، نصرة لقيم العدالة، وقضايا الحق والتحرُّر...

فمن دم الحسين عليه السلام وإشراقة وجهه، وهو يكابد الموت وجلاوزة الطاغوت، ولدت شهادة الحياة... ومن يقين إيمان علي الأكبر بالحق، الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام انبعثت أطروحة «أولسنا على الحق... إذا لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا»... ومن ولاء الأصحاب الذين تمسكوا بولاية الإمام الحسين عليه السلام، كانت اندفاعة الثبات على صراط الرسالة، وجعل الدنيا قنطرة الآخرة، وحياة الخلود... ومن عطش الأطفال والنساء نبعت أنهار الحزن والأسى دفاقة في القلوب والعيون جيلا بعد جيل... ومن بأس العباس ولد بأس كل مقاوم، ومن إيثاره تمخّضت روح الوفاء للأمة وقادة الأمة...

من التاريخ الذي تسطّر بعد شهادة الإمام عليه السلام، وسبي السيدة زينب(عليها السلام)؛ ومواقف العز التي أطلقتها من سرّ الإيمان واليقين بالله

الأحد المقتدر الذي منه يكون كل خير... وعنه لا يصدر إلا الجميل... انتفضت العقيدة والعبادة والإرادة، فكانت «شعائر حسينية» تحفظ الهدف والغاية، وتستحفظ في طيات معناها كل الشهادة والنهضة، ودوام الحياة، وذكر الإسلام. بـ «إحياء الأمر» والإحياء فعلٌ متجدد ومستمر لبث الروح، مستديما من العبر والتأثيرات التي لا تنضب ولا تجف... ولجعل الواقعة رمزا يشير إلى دلالات لا تنتهي...

وقد أسّس القرآن الكريم لمثل هذا النهج من الإحياء لأمر الله، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ (٥)

فالفعل الإلهي هو إرسال موسى رسولا إلى الناس، يحمل آيات الله إليهم، كسبيل لإخراجهم من ظلمات القهر والجهل، إلى نور الإسلام والتحرر... أما فعل موسى فهو قيادة هذه العملية الرسولية الإنقاذية من جهة، وإرساء كل الأصول الدينية والنفسية والشعائرية لتذكيرهم بأيام الله،... والمقصود هنا من أيام الله!... الأوقات والأحداث التي برز فيها التدخل الإلهي بشكل واضح بيّن، والتي شكلت منعطفاً في تاريخ الشعب والجماعة... وهي أيام أضاءت أرواح الناس وقلوبهم بنور الله... والقلب الذي يضاء بنور الله لا يمكن له أن يتقبل بعد ذلك ذلاً، أو ظلماً يلحق به أو بقومه وبأمته، بل لا يمكن له أن يقبل السكوت عن حيفٍ وجورٍ يصيب أي مخلوق... لذا فإن التذكير، أو الإحياء إنما يحفظ، ومن خلال الشعائر، هذا التألق للنور الإلهي في قلوب الناس، والذي انبعث فيهم أول ما انبعث عند حدوث الواقعة، وهو يقبل الديمومة والاستمرار بفعل الإحياء ولشعيرة الإحيائية... من هنا كانت الشعائر الحسينية هي شعيرة دينية قال فيها الأئمة (عليهم السلام) إنها «إحياء الأمر»... وهذا الإحياء له

---

(١) إبراهيم:٥

دوره ووظيفته في نهضة وديمومة حياتها العزيزة والمجيدة... لذا يقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١).

وحياة أهل الإيمان على نوعين:

النوع الأول: وفيه تكون حياة القلوب بدوام الإيمان، وطلب القربى من الله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

النوع الثاني: هو الحياة الاجتماعية التي تسودها قيم الولاية لله وحده، وبالتالي فهي حياة مفعمة بنور العدل والحق والهداية والحرية، ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (٣).

فبالنوع الأول من حياة أهل الإيمان يكتشف الإنسان نفسه ويعرفها، حتى إذا ما عرفها عرف ربه، وإذا ما عرف ربه ووليه، كانت حياة النوع الثاني بالخروج من دائرة الظلمات التي يقبع فيها أهل الكفر، وعبيد الطاغوت... وذلك بنسيانهم ربهم وإيمانهم والذين نسوا الله، أنساهم أنفسهم... فإذا ما نسوا وغفلوا عن أنفسهم كانوا مرتهنين لحيف الحياة وظلم الجبابرة فيها... وما دور الشعيرة،... والشعائر الحسينية إلا أن توقظ في النفس كل عبر أيام الله...

عليه، فإن هذا الكتاب ليس كتابا يؤرخ للشعائر والمراسم الحسينية، وإن استند إلى التاريخ أحيانا لاستجلاء معنىً من المعاني، أو مفهوماً من المفاهيم...

كما وأنه لن يعمل على مناقشة بعض الطروحات الافتراضية الجديدة التي اعتمدت على مناهج علم الاجتماع والنفس، لقراءة الشعائر والمراسم العاشورائية بما يخرجها عن هدفيتها الإسلامية... وإن كان النقاش مع مثل

---

(١) الأنفال :٢.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) البقرة: ٢٥٧ .

هذه الاتجاهات، من المواضيع التي يمكن لنا مستقبلا البحث فيها...

إن هذا الكتاب؛ يريد أن يستجلي البعد الإيماني في الإحياءات العاشورائية، كما ويريد التركيز على الدور النهضوي للشعائر الحسينية؛ وذلك عبر دراسة تتألف من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ويتناول معنى الشعيرة في الإسلام، وكيف تتفاعل مع البيئة الاجتماعية والثقافية فتنتج بعض المراسم الخاصة واللصيقة بها؛... ثم لندرس بعد ذلك الشعائر العاشورائية وعلاقتها بأصل الشعيرة في الإسلام، وما هي تأثيراتها الإيمانية والتاريخية... دارسين بنفس الوقت الخلفية التاريخية - الدينية للشعائر الحسينية، والتي تتمثل بنهضة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها...

الفصل الثاني: ونستعرض فيه الشعائر الحسينية بصنوفها الثلاث... ودورها في إحداث التغيير النفسي لدى الملتزم بها، ثم كيف أنها تشكل الهوية الجمعية للمؤمنين بخط الإمام الحسين عليه السلام... ثم لنلحظ الهدفية الإبلاغية في الشعائر الحسينية. ومدى الانسجام المنظومي بين هذه الشعائر في رسم مسار النهوض الإسلامي.

الفصل الثالث: استعرضنا فيه بعض الاتجاهات التي كان لها آراؤها في السلوكيات الإحيائية للمراسم والشعائر العاشورائية،... وإننا بعد استعراضها عملنا على تبيان المائز التجديدي الذي طرحه الإمام الخميني(قده) في التفاعل النهضوي مع الشعائر العاشورائية.

مما يعني أن هذا الكتاب، يدخل في ما يمكن أن نصنفه بـ «أدبيات النهوض» الإسلامي بوجهه العام، والنهوض الإسلامي المعاصر على وجه الخصوص. راجين من الله أن نكون قد قدمنا ما فيه بعض الفائدة في تناول أصل مركزي من أصول الصحوة أو النهضة الإسلامية المعاصرة...

الفصل الأول

الشعائر
والنهضة الحسينية

الشمائر والنهضة الحسينية

قبل البدء ببحث الشعائر الحسينية من المفيد، أن نتعرف إلى معنى الشعيرة ودورها في الإسلام، وما تمتاز به عن الطقوس التي تمارس عند بعض المعتقدات والأديان. لندخل من خلال هذا الفهم إلى الشعائر الحسينية بما هي متصلة مع أهداف بقية الشعائر...

-I-

نظرة عامة في الشعائر

الشعائر في الإسلام هي نحوٌ من العمل العبادي الذي يؤديه المسلم ابتغاء وجه ربه سبحانه، وطلب مرضاته...

من هنا كان الحثّ على تعظيم شعائر الله. إلا أنه تعظيم لا يقصد به صورة الشعيرة بذاتها، بل بما هي علامة تشير إلى إرادة ورغبة التقرب إلى الله.. فالمقصود بالتعظيم إذن هو الله سبحانه، وشكل أداء هذا التقرب والتعظيم، هو بالتزام الشعيرة، والقيام بها على الوجه الذي يريده سبحانه وتعالى...

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1].

وواضح هنا أن مثل هذا التعظيم للشعيرة، يقتضي التزام بعض الآداب تجاهها:

الأول: اقتران ذكر الله سبحانه وتعالى بأداء الشعيرة **﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾**[2].

إذ لا يصح أن يخلو أداء الشعيرة عن المضمون والهدف والغاية التي كانت الشعيرة لأجله؛ وهو ذكر الله سبحانه وإحياء القلب، كما إحياء الأمر الإلهي، والرسالة الإلهية بدوام ذكر الله سبحانه. فالعمل التكليفي إذا خلا من روحية الذكر، وإحياء القلب تحول إلى مجرد عمل قشري، ليس له أي مؤدى تربوي وعبادي يسمو بالإنسان إلى مراتب الرفعة.

الثاني: عدم الوقوع بالاستهتار أو التوهين بإقامة الشعيرة.. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ**﴾[٢]. والمقصود بقوله تعالى:﴿ **لا تحلوا**﴾ الإحلال، والإحلال هو: الإباحة الملازمة لعدم المبالاة بالحرمة والمنزلة التي اختصها المولى سبحانه - بحكمه - على أمر من الأمور، أو مكان من الأمكنة، فجعلها شعيرة من شعائره.. فإحلال شعائر الله - إذاً- هو عدم احترامها وتركها.. وهذا ما منع عنه الله سبحانه. إذ القيام بأداء التكليف على أفضل وجه وطريقة تراعي احترام الشعيرة، والبذل في سبيل إقامتها، بتأدب في الممارسة، ودقة في مراعاة الأحكام الشرعية، يعدُّ من الوجوه الأكيدة لتعظيم الشعيرة.

الثالث: أن يصدر الالتزام بالشعيرة عن التقوى، لا عن أسباب شخصية، ومبررات محكومة بنزعات الهوى، ورغبة تحيد عن التزام خط الاستقامة الإيمانية...

هذا ومن مقدمات التعرف للشعيرة بحث الأمور التالية:

الأمر الأول

المعنى اللغوي والاصطلاحي للشعيرة:

أورد القاموس المحيط:« أن الشعر : النبات، والشجر ، والزعفران وبالتحديد هو الشجر الملتف، وما كان من شجر في لين من الأرض يحله الناس يستدفئون به شتاء، ويستظلون به صيفاً كالمشعر.. وما تحت الدثار من اللباس،

وهو يلي شعر الجسد، واستشعره، لبسه.. وأشعر الهم قلبي لزق به.. والقوم نادوا بشعارهم، جعلوا لأنفسهم شعاراً[٤]».

ويمكن لنا أن نستفيد مما مر أن الشعار هو أمرٌ سهل التناول، مرغوبٌ من الناس، مفيدٌ لهم، يتحول إلى ملازم لهم بحيث يصبح عنواناً لجماعتهم أو لحركتهم....

ثم إن المعنى الاصطلاحي للشعيرة تداخل مع المعنى اللغوي.. بحيث أورد الفيروز آبادي في قاموسه المحيط..:

الشعيرة البدنة المهداة .. وشعار الحج مناسكه وعلاماته، والشعيرة والشعارة والمشعر معظمها، أو شعائره: معالمه التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها، والمشعر الحرام، وتكسر ميمه، بالمزدلفة[٥].

أما صاحب تاج العروس الزبيدي، فاعتبر أن:« الشعيرة: البدنة المهداة، سميت بذلك؛ لأنه يؤثر فيها بالعلامات، وجمعها شعائر، وكل ما جعل علماً لطاعة الله عز وجل»[٦]...

وقال الزجاج: «شعائر الله: يعني بها جميع متعبدات الله التي أشعرها الله؛ أي جعلها أعلاما لنا... وإنما قيل: شعائر لكل علم مما تعبد به؛ لأن قولهم: شعرت به: علمته؛ فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله تعالى.. ومنه سمي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع»[٧].

أما الحسيني المراغي في العناوين الفقهية،

فقال: «إن الظاهر مما ذكره أهل اللغة والتفسير أن الشعائر محتملة لأربعة معان:

أحدها: أن يراد علامات دين الله وطاعته عموماً . فيشمل سائر المحترمات، وهذا على كونه جمع الشعار، وهو العلامة والإضافة إلى الله، يكتفي فيه بأدنى مناسبة.

وثانيها: أن يراد به البدن خاصة.

وثالثها: أن به يراد مناسك الحج وأعماله جميعاً.

ورابعها: أن يراد به مواضع مناسكه ومعالمه...

هذا، وإن المفسرين ذكروا أن معنى العلائم أيضاً إرادة تعظيم معالم دين الله... وذكروا كون المنافع حينئذ الأجر والثواب»[٨]...

بل إنه استدل من تعظيم شعائر الله وكونها من تقوى القلوب، وجوب كل ما يؤدي لتعظيم دين الله سبحانه؛ وذلك بدليلين:

«أحدهما: أن التقوى إنما هو الحذر عن أمر مخوف، فعلم من ذلك أن هناك شيئاً يخاف منه، فينبغي الحذر عنه بتعظيم الشعائر، وكل ما هو كذلك فهو واجب، إذ لا خوف في مخالفة المستحب حتى يحذر عنه، فكونه من التقوى والحذر إمارة العقاب على تركه.

وثانيهما: أن هذه الآية نجعلها صغرى، ونثبت وجوب التقوى بقول مطلق، بالآيات الكثيرة الآمرة بالتقوى، كقوله تعالى ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[٩].. وقوله تعالى﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٠].. وغير ذلك مما لا يحصى.[١١]

وهكذا نصل للنتيجة التالية:

إن الشعيرة هي التزام بأمر إلهي محدّد، أو تأدية الذكر الإلهي بموضع أو زمان محددين.. بحيث يكون ذاك الالتزام معلوماً عند الملتزم بإرادة الله سبحانه.. بل ويكون هذا الالتزام محبباً إلى قلب الإنسان، لما يعلمه فيه من خير الجزاء والثواب.. وبمقدار ما يكون أمر الالتزام نابعاً عن تقوى القلب وحبه لله سبحانه، بمقدار ما يتناسب ذلك مع التقرب إليه بأعظم القربات كالهدي[١٢] بالحج أو سلوك دروب التقيد الدقيق بالأحكام الشرعية التفصيلية، التي وضعها الله لتأدية تلك الشعيرة..

وبهذا، فكل ما أمر به الله سبحانه من شعائر ينبغي التزامها سواءً أكانت

تلك الشعائر محددة في أساليب تأديتها من قبل الله وبشكل إلزامي... أم محددة من قبل الشارع والمعصوم بشكل (إشاري)؛ وأقصد هنا بالشكل الإشاري العمل القابل للتوسع في نطاق تأديته الذي يمضيه ويقره المعصوم ونحن نأخذه منه على سبيل التأسي، مستفيدين من إمضاء المعصوم له، إشارة تدل على أصل محبوبيته، وإمكان التزام روحيته ومضمونه ولو بأشكال متنوعة. ومن أمثلة ذلك أنه لو أحيا المعصوم أمراً من أمور دين الله سبحانه بالبكاء في جماعة من الناس قد لا تتعدى الخمسة أشخاص، فهذا لا يعني أن البكاء حباً وخشيةً من الله منحصر بأشخاص خمسة فقط، بل قد يتعدى إلى عشرات بل ألوف الأشخاص مجتمعين؛ تأسياً بالإشارة التي أطلقها المعصوم لإحياء أصل الشعيرة...

الأمر الثاني

إن الشعيرة هي نحو من أنحاء القرب، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وهي تؤكد على طبيعة فهم وتعاطي الإسلام مع ما يقرّب إلى الله سبحانه؛ ذلك أن الغاية المعنوية فيما يقرب إلى الله هي التي ينبغي أن تكون حاضرة.. كما أن الشكل والأسلوب المعتمد شرعاً ينبغي أن يكون حاضراً في تأدية الشعيرة.. فمثلاً: لا يصح من أحد أن يقول إن العبادة أو الشعيرة إذا كانت غايتها التقوى، فعند حصول التقوى لا معنى للاستمرار بتأدية العبادة أو الشعيرة. إذ أسلوب وشكل الأداء هو الجسم الحافظ للوصول والاستمرار بالبقاء على ما وصل إليه المرء من معنوية التقوى، كما أن ممارسة الشكل من دون القصد والغاية هو تضييع لمعنى العبادة والشعيرة، وتفريغ لها من قيمها وحكمة وضعها وتشريعها..

وعليه، فالقرب من الله غاية لإقامة الشعيرة، ومنه كان القربان، وهو ما يُقدَّم تقرباً إلى الله.. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ

مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(١٣)

وقرب العبد من الله في الحقيقة: التخصُّص بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف الله تعالى بها، وإن لم يكن وصف الإنسان بها الحد الذي يوصف تعالى به نحو الحكمة، والعلم، والحلم، والرحمة، وذلك بإزالة الجهل، والطيش والغضب(١٤). وهذه إنما تحصل بانتهاج نهج الفرائض والنوافل والشعائر؛«من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»(١٥)، و«ما تقرب إليَّ عبدٌ بمثل أداء ما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بعد ذلك بالنوافل حتى أحبّه..»(١٦).

فالغاية من الشعيرة التقرب، وهدف التقرب أنس اللقاء، ونتيجة كل ذلك الحصول على لطف من الحب الإلهي.. من هنا لا يكون التقرب إلا بدوام الذكر والعمل الصالح.

وهذا مما يستوجب الشكر..

وبهذا المعنى، سُمّيت عبادة الصلاة بقربان التقوى؛« الصلاة قربان كل تقي»(١٧). كما ورد ببعض الأحاديث في أهل الجهاد والشهادة في سبيل الله سبحانه «قربانهم دماؤهم»(١٨).

عليه، حتى تستقيم الشعيرة فلا بُدَّ أن تُغيِّر من مواصفات الإنسان النفسية والعقلية والأخلاقية بل وأن تغير قيم نظرته للوجود والحياة، كما تحدث تغييراً في علاقته مع الواقع، وسلوكيات علاقته بالواقع من حوله..

الأمر الثالث:

مما مرَّ يمكننا استفادة أن إحياء مناسبة شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه (رض) ... هو إقامة لشعيرة إلهية؛ لما يحمله من مقصد هو إحياء دين الله سبحانه،(١٩). إذ كل الهدف من قيام وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، إنما كان إحياء دين الله سبحانه.. ثم إن هذه المناسبة قد ورد

الأمر بأصل قيامها من قبل المعصومين (عليهم السلام)، فعن الإمام الصادق عليه السلام «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا...»[٢٠].

وجاء الحديث بمورد الطلب بإحياء ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، بل إن وسائل تأدية هذه الشعيرة قد وردت بالأخبار والمواقف التي نقلتها سيرة النبي (ص)، والأئمة الأطهار(عليهم السلام) من مثل البكاء وإنشاد الشعر والزيارة.. وغير ذلك..

وهي أمور قابلة للتطوير كماً ونوعاً.. بل هناك حثٌّ ودفع لإثارة كل كوامن النفس والوجدان والوعي؛ بغية إحياء أمر الله سبحانه، إذ ليس المقصود بـ:«أحيوا أمرنا» إلا تلك الرسالة التي صدع بها رسول الرحمة محمد (ص)، والتي مثلها الأئمة الأطهار (عليهم السلام)..

وأساليب التعبير التي حثَّ النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) على إثارتها وتفعيلها بغية إحياء أمر الله، ينبغي أن تكون معظمة؛ بحيث تؤكد على مضمون التقوى في النفوس، ولا تفضي للتوهين بالشعيرة أو التحلل من الالتزام بها.. ومثل هذه الأساليب هي غير نفس الشعيرة، بل هي ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المراسم). وإذا كانت الشعيرة الحسينية أو الشعائر الحسينية مورد اتفاق بين أهل العلم والحق، فإن تأدية مراسم ممارستها هي التي أفضت إلى اختلافات فيما بينهم، فلا ينبغي الخلط إذاً بين الشعيرة أو الشعائر الحسينية المنصوص عليها، وبين المراسم العاشورائية التي لا بُدَّ أن تنضبط، بجملة من الضوابط الشرعية والعقلائية ليصدق عليها أنها علامات تشير إلى طريق الحق والعدل والهداية لا أن تتحول إلى مثيرات للجهل واستتباع للحاكم والفتن.. وهذا ما ننزه أغلب ما سعى المسلمون لإحيائه من مراسم عن الوقوع فيه، إذ وقوع الخطأ في تأدية مسلك أو مرسم أو شعيرة مبنية على التقوى من حيث الأساس، لا ينبغي أن يجعلها ضمن دائرة الأمور المرفوضة، وإلا فإن

الكثير من العبادات الضرورية، بل والمعتقدات الضرورية لطالما كانت توظف من قبل الذين في قلوبهم زيغ بشكل خاطىء وهدام للقيم الدينية والإسلامية..

الأمـر الرابـع:

إن إحياء الشعائر الدينية ليس من المسائل التي اختص بها الإسلام ، وإن كان للإسلام خاصيته في أبعاد وأهداف وأشكال إحياء الشعيرة الإسلامية؛ لذا فإن علينا أن نحفظ القيم الشكلية والمعنوية في ممارسة الشعيرة الإسلامية.

ومن الديانات والمعتقدات القديمة التي أقامت طقوساً وشعائر: السومرية، والآكادية، والبابلية، والآشورية مروراً بالفرعونية، والكنعانية الفينيقية، واليونانية، والرومانية، والهندوسية، والعبرية والكتابية والتلمودية.

ففي مصر الفرعونية كانت تقدم الذبائح والأضاحي لتبقى الآلهة راضية عن أعمال الشعب، وتمنحهم النجاح والازدهار والقوة.. خاصة في الحياة الأبدية.. أما في المعتقدات اليونانية والرومانية فكانت تقدم القرابين بطقوس معينة لقاء أن تقدم الآلهة خدمات خاصة لمن يقدم لها القربان. وفي اليهودية يكون الدور الأساسي للمذبح كمكان، ترفع فيه الذبيحة من خلال عمل طقسي... والمذبح نوعان: مذبح المحرقات التي تحرق عليه الحيوانات المختارة والمسفوكة لهذه الغاية. ومذبح العطور الذي يحرق عليه البخور أمام قدس الأقداس في الهيكل. أما الذبائح فهي ذبيحة الشراكة، وذبائح التكفير، مثل ذبيحة الخطيئة وذبيحة التعويض. وأما التقديمات فتكون إما نباتية أو خبزاً، أو تقاديمات بخور.. ولكن بعد خراب أورشليم، وحريق الهيكل.. فقد وضع حدّ نهائي لتقدمة الذبائح والمحرقات التي كانت تعتبر على حد قول سمعان الصديق، إحدى الأعمدة الثلاثية التي يقوم عليها الكون، فالصلاة وأعمال الرحمة أصبحت البديل عن القرابين..(٢١) .

والملفت في هذه الطقوس والقرابين، إنما تقوم على محاولة المشابهة لله كما يحصل عند الكاهن والعرّاف في بعض هذه المعتقدات. وأما أنه هو مبادلة

الإلهية بما يريده المقدم.. تقوم على فكرة التبادلية مع الآلهة؛ بحيث إنها تعطي القربان بشرط مسبق أن يبادله إلهه بما يريده.. وأما أن يكون القربان خاصة بقرابين الذبح اليهودي تعبيراً عن الشعور بالذنب والخطيئة.. وهذا ما وقفت عنده مدارس التحليل النفسي، لتعتبر أن هذه الشعائر والطقوس هي عقد جرمية، يمارسها أصحابها لما يحملونه في مخزون نفوسهم من مشاعر الخطيئة والذنب، فيتقدمون بتقدمات وممارسات فيها شيء من العنف الذاتي كتعويض عن تلك المشاعر...

وقد حاول بعضهم أن يتبنى هذه التحليلات لظاهرة الطقوس والشعائر الدينية والاعتقادية اليهودية وغيرها.. وسعى ليطبقها على بعض الشعائر الإسلامية وبالخصوص عاشوراء.. وقد فات هؤلاء أن البنية التربوية والعقيدية التي زرعها الإسلام في نفوس معتنقيه، وأشدد هنا على كلمة « معتنقيه» إضافة لما ضمنه من إرشادات في تقديم الشعيرة أو الحث عليها، لم يلحظ نفس الشعيرة بما هي هديٌ يُقدَّم كقربان.. إذ ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[22].

أو الشعيرة بما هي مكان وشيء من الأشياء؛ لذا ورد عن الأمير عليه السلام «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر[23] الأولين من لدن[24] آدم صلوات الله عليه، إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تنفع ولا تضر، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً.. ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقل نتائق[25] الدنيا مدراً[26]، وأضيق بطون الأودية قطراً،[27]. بين جبال خشنة، ورمال دمثة[28]، وعيون وشلة[29]، وقرىً منقطعة.. ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم[30] نحوه، فصار مثابةً[31] لمنتجع[32] أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم.. حتى يهزوا مناكبهم[33] ذللاً يهللون[34] لله حوله، ويرملون[35] على أقدامهم شعثاً[36] غبراً له. قد نبذوا[37] السرابيل[38] وراء

ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور[٣٩] محاسن خلقهم . ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً[٤٠] بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنته»[٤١].

وبمورد آخر، يقول عليه السلام: «الحج تقربة للدين»[٤٢] فالشعيرة هنا لا تمثل إلا طريقاً للابتلاء من أجل تمتين جانب تربوي، يبقى فيه الملتزم أو المتدين بحالة الانشداد لثقافة تدعوه إلى استحضار التقرب إلى الله، والعمل على رفع شأن دينه سبحانه، وتحضيراً للنفس من أجل تحمل المسؤوليات البالغة.. فليس في الأمر عقد الذنب أو الشعور بأصالة الخطيئة، بل الأصل هو التقوى، والتقوى هي تحصين النفس المتأصلة والمفطورة على البراءة من الدنس، بغية أن لا تقع بدنس الخطيئة وفارق هائل بين الأمرين؛ وبهذا المعنى؛ فإن من اتهم مراسم عاشوراء بعقدة أوديب الفرويدية[٤٣]، لأن الثقافة الإسلامية النصية تركز على عنصر الذكورة، وبالتالي، اعتبر أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع أبوي يعيش الرغبة بقتل الأب والندم بنفس الوقت على تلك الرغبة. ثم ذهب للقول إن الأب هنا هو الإمام الحسين عليه السلام، وإن الرغبة والندم على قتله يعبر عنها الشيعة بالمراسم العاشورائية.. أخطأ سهم التحليل.. إذ فارق بين المجتمع الذكوري والمجتمع الأبوي خاصة في الأديان، إذ الدين الإسلامي لا ينظر للحسين كإله، بل كعظيم ضحى بكل ما لديه فداءً لإحياء الدين.. وقدَّم بذلك الأسوة والنموذج والمناداة باسمه في عاشوراء، إنما هو من أجل إحياء الدين..

وحتى لو عاش الحسينيون مشاعر التوبة، فالتوبة ليست في الآداب الإسلامية مقايضة بين الظالم والمظلوم، بل هي قرارٌ من قبل الظالم على تحسين وضعية علاقته بالمظلوم. ثم إن المبدأ الإسلامي لا يقر أن الناس في الزمن الراهن يتحملون مسؤولية أخطاء مارسها غيرهم في الماضي، إذ ﴿لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٤٤] عليه، فإذا كان من رد فعل فهي العمل على استنهاض كل المقومات للالتحاق بركب قضية محقة، وتجييش كل الوجدان للثبات

والاستقامة في سلوك درب تلك القضية؛ لأن القضية إذا امتزجت بالمظلومية صارت هدفاً إنسانياً سامياً، وصارت صراطاً عقائدياً توحيدياً...

ثم إن كل فرد في الإسلام يرتبط أولاً وبالأصل والأساس بالله مباشرة، دونما وسائط، وحينما يشعر بنحو من الحاجة إلى معين، وشافع؛ فإنه يطرق باب أولياء الله، مستعيناً بهم على الوصول نحو الأصل.. وإلا فالولي أو الإمام بذاته ليس على شيء، ما لم يرتبط بالله سبحانه وبما أن الحسين عليه السلام أعطى الله كل شيء، كان معين الضعفاء في كل حاجة... فالارتباط والطلب والتقرب بالشعيرة الحسينية متعلق بالله وحب الحسين عليه السلام، هو لحب الله للحسين عليه السلام.

من هنا، كان القصد بإحياء الشعيرة تحقيق النهوض الإسلامي بإحياء الرسالة والعمل الجهادي لإحياء سنن العدالة والجهاد، الاستشهادي لتحقيق حياة عزيزة كريمة خالية من عقد الخوف والارتهان..

وإذا ما لحق ببعض الممارسات شوائب معينة، فحصول بعض هذه الشوائب لا يصح أن يكون سبباً للحكم على الشعيرة ككل.

وهي الشعيرة التي حفظت خط العلاقة بالائمة موصولاً برسول الله محمد(ص)، ثم بث الأمل بضرورة انبلاج فجر الفرج المستقبلي بالإمام الحجة(عج) تحت سنة الآية القرآنية﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾(٤٥).

لجملة هذه الموارد التي قدّمناها أمكن لنا القول: إن تعظيم أمر الشعائر والتسابق في تعظيم شأنها أمرٌ محببٌ ومطلوب، طالما أنه يؤدي الغاية المرجوة منه، وهي تركيز عناصر التقوى في القلوب.. بل صدوره عن عناصر التقوى القلبية، لا عن هوىً أو رياء أو رغبة دنيوية.. لذا فإن السعي الحثيث لتعظيم شعيرة الإحياء الحسيني أمرٌ مطلوب بمقدار الوسع الإنساني طالما أنه لم يُدخل في الدين ما ليس منه، ولم يوقع صاحبه بأي مخالفه شرعية، وطالما أنه يحافظ على قيم الإسلام في سلوكياته بالحياة والعبادة.

هذا، وإن مظاهر تعظيم الشعائر التي أشارت إليها الآية﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٤٦) . وردت في هدي البدن، وذلك باختيارها عظيمة البَدَن، سمينة، غالية الثمن. ثم من موارد شعائر الله تعالى أن يعتقد أن طاعة الله في التقرب بها، وإهدائها إلى بيته المعظم. لذا كان هذا الفعل من تقوى القلوب. هذا وإنما سميت البدن شعيرة من حيث إنها تطعن في سنامها(٤٧)، من الجانب الأيمن والأيسر حتى يسيل الدم، فيعلم أنها هدي فلا يُتعرض لها، فهي من جملة معالم الحج.. كما أن من جملة معالم الحج الوقوف بعرفة وهو شعيرة، ورمي الجمار والصفا والمروة والمشعر الحرام والمزدلفة، كلها شعائر الله، ويجب تعظيمها بحسن تأدية فريضة الحج بدقة ومراعاة شرعية تصل بين فعل القيام بالشعيرة، وحسن حضور القلب بالارتباط التقوي بالله سبحانه وتعالى..

ولهذا، ذهب أهل العرفان والمعرفة إلى اعتبار العلم والإعلام شروطاً في الشعيرة.. وهما يقعان في فؤاد الإنسان وقلبه العارف؛ لذا اعتبروا أن تعظيم شعائر الله يكون من النفوس المستعدة المسوقة، نسائق التوفيق في سبيل الله ليهدي بها لوجه الله، فإن تعظيمها بتحصيل كما لها من أفعال ذي القلوب المتقية..

وبما أن القلوب لا تكذب، فإن مخالفتها يوقع في العمى، مما يقطع عن الإنسان تعريفات الحقيقة... وإنما يقوى القلب بتحقيق المجاهدة في سبيل الله. عندها تعلم بالكشف وتنطق بما علمت فيكون في مضمونها تقوى، وفي القول والفعل الصادر عنها تقوى...

ولقد توسع ابن عجيبة(ت ١٢٦٦ هـ) في تفسيره البحر المديد في تفسير القرآن الكريم؛ بأن الشعائر هي أمور الدين على الإطلاق، شرط أن تكون صادرة عن قلب تقي، يخشى الله ويؤمن بعظمته، ويخلص بتوحيده...

وبهذا المعنى، ولما ورد عن النبي (ص) والأئمة الأطهار من إحياء أمر

الدين، والنبي (ص) والآل (ع) عبر شعيرة الإحياء الحسيني. فإن اعتبار هذا الإحياء شعيرة من الشعائر، بل فريضة تضم جملة من الشعائر هو مما تحدث عنه آل العصمة (ع)، وكانت كلها تحت العنوان الذي أطلقه الإمام الصادق عليه السلام «أحيوا أمرنا».

ومن تلك الشعائر نذكر:

أ- البكاء على الإمام الحسين عليه السلام،

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى يسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدونا في الدنيا بوّأه الله بها مبوّأ صدق في الجنة، وأيما مؤمن مسّه أذىً فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خدّه من مضاضة (ألم المصيبة) ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[٤٨].

ب- زيارة الإمام الحسين عليه السلام،

فعن عبد الله بن جعفر الحميري، عن موسى بن عمر، عن حسان البصري عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف.. فإن من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (ص) وعلي فاطمة والائمة (ع)»[٤٩].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل»[٥٠] والحديث الأخير يشير بوضوح إلى أن الزيارة مفترضة، مما يوصلها إلى حد الشعيرة التي تمثل معلماً من معالم هذا الدين الحنيف...

ولمثل هذه الشعائر الحسينية تعظيمات جسدية، وأساليب في الممارسة الخاصة بالتعظيم منها الصلوات الخاصة، ومنها الأدعية وقراءة نصوص الزيارة، وقراءة القرآن الكريم، والاستشفاء بتربة قبر الحسين عليه السلام وشدة الحزن والبكاء والسلام على صاحب القبر ووداعه، ومنها ما هو معنوي.. ونورد هنا بعضها من مثل:

١- أن يزوره عارفاً بحقه عليه السلام محتسباً أمره إلى الله سبحانه؛ فعن أبي عبد الله عليه السلام:«من أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له، عارفاً بحقه، يريد به وجه الله، والدار الآخرة... غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٥١].

٢- أن يزوره عليه السلام حباً وشوقاً له فعن ابي عبد الله عليه السلام «من أتى قبر الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الآمنين يوم القيامة»[٥٢] .

٣- أن يجعل من الزيارة تجديداً لعهد الولاء لله سبحانه، ولرسوله (ص) وللأئمة الأطهار (ع).. وأن يتقدم إليها بصدق وإخلاص، واصلاً نفسه بكل خلق الله من الملائكة والناس والموالين...

٤- أن يُحسّن خُلُقَهُ بعلاقته بعباد الله؛ بحيث يكون من دلائل وعلامات حسن تأثير الولاء لأبي عبد الله عليه السلام، في أخلاق الزوار، وحسن علاقتهم بالناس.

٥- أن يحمل همّ الرسالة بصدق وإخلاص وأن ينعكس كل فعل عظيم يثبت صدق إخلاصه في ولائه إلى درجة التهيؤ والاستعداد الدائم للشهادة في نفس سبيل القضية التي استشهد لأجلها الإمام الحسين عليه السلام..

وأن ينعكس هذا الصدق والإخلاص في قوله، فلا يحدث خاصة بما يتعلق بالشعائر الحسينية وسيرة الحسين عليه السلام وقضيته، إلا بما فيه إخلاصٌ في الصدق وتثبت من تحقيق رضا الأئمة الأطهار(ع) وخاصة منهم إمام العصر(عج).

٦- أن يجتهد في إحياء أمر الشعيرة، وأمر الدين، وأمر الرسالة، بما يحقق النهضة الإلهية الكبرى المنتظرة على يد الإمام الحجة (عج).

٧- أن يفرّق بدقة بين ما فيه البدعة وهي الإدخال إلى الدين ما ليس فيه. والإبداع في تحقيق إلى الدين ما ليس فيه... والإبداع في تحقيق ظهور هذا الدين وقيوميته، وإظهار مظلومية سيد الشهداء، ووجوب الانتصار لقضايا الحق والعدل، التي أطلقها الإمام الحسين (ع).

-II-

الشعائر العاشورائية

ننطلق في بحث موضوع إقامة الشعائر الحسينية من اعتبارها علامات، يراد منها تحديد معالم فريضة «إحياء أمر النبي محمد (ص)، وآل بيته الأطهار (ع)». وهذه الفريضة تنطوي على بعد عقائدي، يندرج ضمن الضروريات الدينية التي آمن بها المسلمون الشيعة. وهي تخصّ معتقدهم بالاعتقاد بالنبي محمد (ص)، ودوره الرسالي والقيادي في الحياة..

كما تختص بالاعتقاد بالأئمة كاستمرار لخط النبي (ص)، وتأدية نشر الرسالة التي أرسل بها (ص) رحمةً للعالمين، وصولاً لتحقيق الغاية الإلهية بإظهار الدين على الدين كله...

أضف إلى أن لهذه الفريضة حيثيات أخرى منها:

أولا: البعد المعنوي والإيماني في تجربة العلاقة الروحية بالله سبحانه، وبالنصوص المقدسة والتجربة المعصومة .. وما يمكن أن يلاقيه أصحاب هذه التجربة الإيمانية من صعوبات بسبب رفض المخالفين لها..

ثانيا: البعد العملي والتاريخي، والذي لاقى فيه الموالون لخط الرسالة المحمدية أشد أنواع التنكيل من سلطات الإسلام التاريخي، والذي مثّله الأمويون والعباسيون، وأرادوا منه في الفترة الأموية تغييب الحضور النبوي لرسول الله(ص) في ثقافة الناس ومداولاتهم الشرعية والسياسية، حتى أن معاوية كان قد زرع في نفوس أهل الشام أنه نبيٌّ هذا الدين، ما أدّى إلى إيجاد انطباع لدى الناس بأنه لا توجد للنبي قرابة غير بني أمية.. لدرجة أن الناس بعد انتهاء الحكم الأموي يحلفون لأبي العباس السفاح بأنهم لم يعلموا للنبي قرابة غير بني أمية ... وربما استعان الأمويون على بلوغ هذا الهدف بالقصّاصين الذين استخدموهم بكثرة، وبعزلهم بلاد الشام عن كل ثقافة

خارج إطار مؤسسة الحكم الأموي... وتحويلهم الصراع من وجهه الاعتقادي في مناطق كالعراق والحجاز إلى وجه قبلي عائلي بين بني هاشم وبني أمية...

ثم كانت الفترة العباسية التي امتطت السلطة تحت شعار المطالبة بحق أهل البيت، لتنقلب بعدها على شعاراتها.. ولتزرع فقهاً جديداً يفيد أن أبناء البنت لا يرثون شيئاً.. وبالتالي فقرابة بني العباس أولى بإرث النبي محمد (ص) من أبناء فاطمة، وذلك عبر بذل جهود ثقافية ذات طبيعة فقهية نسبية، فقد ركزوا على أن ابن البنت ليس ابناً، ومن ثمَّ فإن الحسن والحسين والأئمة من أبناء الحسين، ليسوا أبناء رسول الله، -(ولهذه المسألة امتدادات تاريخية أموية)- إذ من مظاهر هذه المحاولة في العهد الأموي محاورة عنيفة بين الحجاج الثقفي ويحيى بن يعمر العدواني البصري (ت-١٢٨هـ). وقد قدَّم يحيى دليلاً قرآنياً على أن ابن البنت ابن؛ وذلك حينما عدَّ عيسى من أبناء إبراهيم عليه السلام وهبنا له إسحاق ويعقوب وزكريا ويحيا وعيسى[٥٣].

أما منطق العباسيين فكان يرفض أن ابن البنت ابن؛ وبالتالي لا حق له بالميراث. أما العمّ فأقرب من ابن البنت، وأحق. وجعلوا منها مطية يحاسبون من يخالفها، وحرَّضوا الشعراء على ذكرها... ثم إنهم وصلوا إلى درجةٍ من الفتك بالثقافة والفكر الإسلامي، أن سعوا عبر فتح منافذ الترجمات؛ لاستبدال التداول العلمي والفكري والثقافي في العالم الإسلامي، عن أن يكون على أرضية المرجعية القرآنية والنبوية، ليكون على أرضية الفلسفة اليونانية والاتجاهات الغنوصية والصوفية والكلامية...

كما أنهم عملوا على الفتك بأساسين من أسس أهل البيت الأطهار(ع)، وبطريقة عسكرية فظة.

الأساس الأول: أن المتوكل العباسي حسب ما نقله الأصبهاني:«استعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرجحي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحدا أبر أحدا منهم

بشيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر»(٥٤).

بل تعدّى المتوكل كل متصور إذ يذكر الطبري «أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية؛ من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق.. فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حواليه...»(٥٥).

وينقل الأصبهاني أن الذي خرب المكان في كربلاء والذي بعثر القبر كان يهودياً.. وأن المتوكل وضع حراسةً مشدّدةً حول المكان، فكانوا يعتقلون كل من يُرى في المكان.. ورغم ذلك، فإن الناس سعوا ليقصدوا الزيارة، وأن محمد بن الحسين الأشناني حسب الأصبهاني في المقاتل، كان ممن وصلوا للمكان، وزرع فيه علامات خفية تدل عليه.. حتى إذا مات المتوكل عاد مع الطالبيين، وحدّدوا مكان القبر(٥٦).

الأساس الثاني: العمل على القضاء، على إمكانية الأمل بالفرج.. وذلك عبر السعي للانقضاض على الشيعة الذين يرجعون بالنسب إلى آل علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه المعصومين(ع)؛ بحيث إن العباسيين أرادوا الفتك بكل منتسب للطالبيين.. وهذا ما عبَّر عنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بقوله لبعض أصحابه:

«وضع بنو أمية، وبنو العباس سيوفهم علينا، لأنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حق، فيخافون أن تستقرَّ في مركزها.. وسعوا في قتل أهل بيت رسول الله(ع) وإبادة نسله طمعاً في الوصول إلى منع تولّد القائم(عج) أو

قتله.. فأبى الله أن يكشف أمره لواحدٍ منهم إلاّ أن يُتمَّ نوره ولو كره المشركون»[٥٧].

وهذا الحديث يكشف عن حجم القلق الذي كان يعيشه العباسيون، بسبب اعتقادهم بولادة الإمام الحجة(عج)، وأنه سيقود مستقبل إعادة الحق إلى نصابه ونشر رايات العدل في آفاق العالم، وإطفاء نار الظلم، وإخماد نائرة الحقد والضغينة والجاهلية، وأنه سيزيل عروش الباطل... وهذا أكثر ما كان يرعب العباسيين، ويدفعهم لترصد حركة الأئمة(ع) وشيعتهم.. فملاحقتهم للشيعة لم تنشأ آنذاك بسبب تحركات وثورات شيعية... إذ التاريخ يروي أن الدولة العباسية كانت تعاني من جملة تحركات عنيفة، شكلت أخطاراً جديةً عليها من مثل.

١- ثورة الجند[٥٨] الذين ثاروا ببغداد مطالبين بأرزاقهم.

٢- ثورة صاحب الزنج[٥٩]، والذي قتل وشرد عشرات الآلاف وحرق عشرات المدن والضيع...

٣- حركة الخوارج التي لم تهدأ....

٤- استقلال بعض الإمارات عن مركزية حكم الدولة العباسية.

٥- ثورة وحركة القرامطة،[٦٠].

وغير ذلك ... بالوقت الذي لا يذكر التاريخ أكثر من خمس أو ست شخصيات علوية كان لها تحركات ثورية آنذاك.. لأن سياسة الأئمة كانت تتجه بوجهة أخرى يراد منها حفظ أصل المعتقد والهوية الدينية والتحضير لمرحلة الإمام الموعود.. ومجرد هذه الفكرة -الإمام الموعود -،شكّلت عاملاً مقلقاً للعباسيين وبشكلٍ لا يوصف رغم كل المخاطر التي كانت تحدق بهم...

ثالثاً : - البعد العملي في تأمين الممارسة والمعرفة الدينية:

ذلك أن المتتبع لكلمة «أمرنا» الواردة على لسان الأئمة الأطهار(ع)، سيلحظ أنها استخدمت هي ومصطلح «حديثنا» بموارد ومعانٍ ثلاث:

المورد الأول: في الحث على عدم إفشاء الأمر، وإفشاء الحديث من الروايات التي حثّت على ذلك:

❖ قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق به، والقبول له فقط، أن من احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله، فاقرؤوا موالينا السلام، وقولوا لهم: رحم الله عبداً اجترَّ مودة الناس إليَّ وإلى نفسه، فحدثهم بما يعرفون، واستروا عنهم ما ينكرون»(٦١).

فهنا الأمر يتعلق بمعارف تتصل بالأئمة الأطهار، ولا يحتمل الناس مضامينها وأبعادها .. ولما كان الأئمة حريصين على اتباع سنة الأنبياء بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، ولما كانوا متهمين من قبل سلطات الأمر الواقع وحواشيهم فإن الأئمة حرصوا على عدم إفشاء الأمور التي يعلّمونها للمقربين حتى لا تضيع قيمتها، ولا تصبح مورداً يستهدف أخصامهم من خلال ترصده نفس خط الأئمة(ع)..

من هنا كان الحث على حفظها وصيانتها أيضاً..

❖ ففي حديث، أن أبا بصير يدخل على الإمام أبي عبد الله عليه السلام، فيسأله في حديث طويل فقال: «هل كتمت عليَّ شيئاً قط؟»

فبقي أبو بصير يتذكر، فلما رأى الإمام ما حل به...

قال: أمّا ما حدثت به أصحابك «فلا بأس به إنما الإذاعة أن تحدث به غير أصحابك»(٦٢) .

وهنا من الواضح أن الإمام عليه السلام كان يراجع المقربين له، ويتابعهم في تصريحاتهم حرصاً منه على ضرورة رعايتهم للكتمان.. ثم إنه حدَّد بهذا الخبر أن المطلوب هو عدم إيصال الأمر أو الخبر إلى غير الثقة.. أما الثقات فلا بأس إن عرفوا.. مما يعني أن هناك قضايا ومواقف ينبغي أن تبقى قيد الكتمان، وهي تتعلق بحياتهم الرسالية والسياسية؛ لذا فالكتمان ليس غايةً بذاته، بل هو من أجل سلوك أفضل الطرق الموصلة لحفظ أمانة القضية وتحقيقها بأسلم وجه..

◆ وفي الحديث أيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أصحاب محمد (ص) وعدوا سنة السبعين، فلما قتل الحسين عليه السلام غضب الله على أهل الأرض فأضعف عليهم العذاب، وإن أمرنا كان قد دنا فأذعتموه، فأخّره الله، ليس لكم سر، وليس لكم حديث إلا وهو في يد عدوّكم، إن شيعة بني فلان طلبوا أمراً فكتموه حتى نالوه، وأما أنتم فليس لكم سر»(٦٣).

وهنا الأمر إذاً، يتعلق بمنعطف تاريخي في حياة الرسالة يتبعه فتحٌ إلهي واسع، يحتاج إلى رعاية وعناية في كتمه وحفظه، إلا أنه حصل الإخلال في شروط رعايته، تارة بنكث العهد مع الإمام الحسين عليه السلام، وأخرى بافتضاح مجريات ما يترتب من الحدث، هي التي تضيع الفرصة فيكون الحث على عدم إفشاء الأمر هو لحفظ وصول الأهداف إلى منتهاها، وهذا ما جرى في تجربة لاحقة للأئمة باهتمام بالغ في حفظ كل المعطيات المتعلقة بولادة الإمام الحجة (عج)، وبتأمين الظروف المناسبة لتحضير الموالين، لرعاية سلوكهم في العلاقة معه أثناء الغيبة الصغرى... لذا فإنه قد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام لإبراز شدة الاهتمام بالكتمان قوله عليه السلام: «من أذاع علينا شيئاً من أمرنا فهو كمن قتلنا عمداً، ولم يقتلنا خطأً»(٦٤).

فمن مصاديق هذا المورد ما يتعلق بالفرج الموعود بخروج الإمام الحجة (عج)، ويرسم سلوكاً عملياً على المنتظرين اتباعه، وانتهاج موقف يحفظ كتمان الأمر صيانةً لحياته في الغيبة الصغرى، وصيانةً لأهدافه والتحضير لتحقيقها في الغيبة الكبرى، ومن ذلك قول الإمام الرضا عليه السلام بعد محادثة معه.. يقول فيها أبو نصر:

جعلت فداك! إن أصحابنا رووا عن شهاب، عن جدّك عليه السلام أنه قال: أبى الله تبارك وتعالى أن يملك أحداً ما ملك رسول الله (ص) ثلاث وعشرين سنة..

قال عليه السلام: إن كان أبو عبد الله عليه السلام قاله جاء كما قال. فقلت له : جعلت

فداك، فأي شيء تقول أنت؟ فقال عليه السلام: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج.. أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾(٦٥).

﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾(٦٦)، فعليكم بالصبر فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم..»(٦٧).

ففضلاً عن أدب التكتم في التعامل مع أمر آل البيت(ع).. هناك أدب الترقب والانتظار بصبر وثقةٍ بالله بحصول الفرج والعمل على تهيئة الظروف لذلك.

المورد الثاني: يأتي معنى الأمر والحديث بدلالة تشير لشأنيتهم(ع) وعلمهم وسرهم، وما اختصهم الله سبحانه في تكوينهم مما لا تصبر على تحمله العقول والنفوس التي لم تهيأ لمثل هذا الأمر من الاستعداد والقابلية والطاقات لتلقي مثل هذا النوع من الحقائق والمعارف..

فعن جابر بن زيد قال: «قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله(ص) إن حديث آل محمد عظيم، صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرَّب، أو نبيٌّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان..

فما عُرض عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول، وإلى العالم من آل محمد(ص)، وإنما الهالك أن يحدِّث أحدكم بحديث لا يحتمله، فيقول والله ما كان هذا»(٦٨).

المورد الثالث: هو مجموعة من الأحاديث التي وردت بصدد إحياء أمر النبي(ص) وآله الأطهار(ع) والتي منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»(٦٩). والتي كانت واضحة بالحثّ على نشر تعاليم النبي (ص) وآله الأطهار(ع)، والحديث بما يتعلق بهم وبما جرى معهم وبالقضايا والأهداف التي نهجوها وأرادوا للناس الالتحاق بها...

فكيف يمكن تحقيق مثل هذا الإحياء لأمرهم مع كل ما يقتضي الإحياء من ممارسات ومواقف وعلوم والتزام شعائر ومراسم غير ذلك؟..

في الوقت الذي يكون فيه الحث الإلزامي واضحاً بأن لا نفشي خبرهم، وبأن لا نستبيح الكلام في أمرهم (ع).. بل كيف يصح عقلاً الأمر بشيء لا يقدر عليه، خاصة أن الروايات تتحدث عن أن أمرهم(ع) صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا أخص مخلوقات الله من الملائكة المقربين. وليس كل ملاك مقرباً من الأنبياء المرسلين، وليس كل نبي مرسلاً، ومن العباد الذين امتحن الله قلوبهم بالإيمان فصبروا وجاهدوا حتى نالوا درجة الخلّة والقرب من مقام الصدق والإخلاص.. ومن المعلوم أن مثل هؤلاء العباد هم قلة شبه نادرة وفريدة..

لعلنا أمام هذا الاختلاف في مضامين موارد الروايات والأخبار حول أمر النبي وآله(ص)، أمام احتمال وهو أن المقصود في إحياء أمرهم لا يُقصد به خصوصيات مشاريعهم الرسالية التي تحتاج إلى إجراءات محصَّنة بالكتمان.. ولا يقصد به خصوصيات معارفهم مما يصدق عليه عنوان السر وسر السر.. بل المقصود بالأمر هنا – في المورد الثالث- تعميم ظاهرة العلاقة الوجدانية، بمحمد (ص) وآله (ع)... بحيث يفتخر الناس بالارتباط بهم، وبحيث يتمنى المحيط العام من المجتمعات والأمم والجماعات التواصل مع نهج النبي والآل(ع)، وهذا الجانب المعنوي في التواصل والارتباط كفيل بعقد أواصر الثقة والمحبة للنبي والآل.. مما يسمح بتقدم المفاهيم والمعتقدات والرؤى التي قدمها الأئمة (ع) وأرادوا منها أن تكون الأفق الاعتقادي والأخلاقي والتشريعي والسلوكي العام الذي ينتهجه كل إنسان بحسب فطرته التي فطر الله الناس عليها. وهنا لا بد من التفريق في المعارف بين معرفة مقنعة بطريقة عرضها العامة؛ وبين معرفة تنطلق وترتبط بجملة خصوصيات تتعلق بالخفايا والبواطن والحقائق التي تحتاج إلى كشف وشهود، وهذه الأخيرة هي التي لحظنا قصدها في مطاوي المرويات المتعلقة بشؤون الأئمة(ع) والمرتبطة بالمورد الثاني من معنى «الأمر» أو «الحديث» المتعلق بالأئمة؛ لذا فعندما يقول

الأئمة(ع) «أحيوا أمرنا» فالذهن المتلقي يذهب إلى ما له علاقة برسالة النبي محمد(ص) والتي أخرجها للناس بالكلام الإلهي المنصوص عليه بالقرآن الكريم..

كما أخرجها بما حدث به الناس، وبسيرته التي سار عليها مع النفس في تبيان العبادات والمعاملات والسياسات، والمقاصد الدينية الحياتية والإنسانية الغيبية والدنيوية، وبطريقة صراعاته في سبيل رسم مسار الحركة الدينية، بل ويبرز كل ما يتعلق بما نصَّ عليه النبي (ص) وبما عهد به إلى الناس من التزامهم بالقيادة التي تمثل تأويل وتفسير وإيضاح وتدعيم وترسيخ معالم وتفاصيل ما أنزل على رسول الله (ص)، وما شكله ومثله أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء(ع) وأبناؤهما من قيادة اجتماعية وسياسية شرعية، وهداية معنوية تقوية.. ومثل هذا الالتزام بالإحياء لمثل هذه الأمور يبثّ فيها تجديد الحياة المبنية على العهد الذي التزمه أهل الإيمان مع إيمانهم بربهم ونبيهم لينفوا بذلك ما علق بالالتزام والإيمان الديني من شوائب الانحدار الجاهلي الظالم الذي مثلته سياسات في الحكم والسلطة قضى فيها آل أمية على فرص القيادة الإسلامية المخلصة والهادية والرشيدة..

والتي وصلت إلى ارتكاب أفظع الجرائم الدينية والإنسانية بقتل ابن بنت رسول الله (ص) وأهل بيته وأصحابه وسبي النساء والأطفال ممن تبقى بعد مجزرة كربلاء وسوقهم سبايا، وهتك حرمة النبي (ص)، ابتغاء كسر قدسية الرسول (ص) ورسالته، وقدسية ما ينتمي إليه صلوات الله عليه وآله.. وتحويل المناخ الثقافي في المشروع النبوي من كونه روحاً وعقيدةً ورسالة، ليكون مشروع سلطة قبلية تبحث عن مفاخرها في انتماءاتها العائلية العربية، ثقافة تحولت من دين إلى حزب، ومن روح إلى سيف مسلط، ومن عقيدة إلى أطماع وإيديولوجيا، ومن رسالة إلى كرسيّ وطبقة مترفة...

إن الإحياء هو التجدد في استعادة ما أماته الغدر ورجال الجريمة من سنن

الله ورسوله (ص) بحيث يكون روح كل عصرٍ ومكانٍ وزمن فيه حرٌ يرفض استباحة الإنسان في كرامته.. ومثل هذا الإحياء إن تمَّ فإن المقصود منه تأمين المناخ المناسب، لإرساء وإنجاز المشاريع العملية التي أرادها الأئمة الأطهار(ع)؛ لأن الكتمان هناك هو أدب المعارضة وسلوكها في سبيل تحقيق الأهداف، وليس الكتمان غاية، فعندما يكون المناخ السياسي والفكري قد تهيأ لبسط معالم المشروع الرسولي الذي يمثله تشيع أهل البيت(ع)عندها تنتفي الحاجة للكتمان، بما فيه كتمان الأمر المتعلق بالحجة (عج) فبعد الغيبة الصغرى انتفت ضرورة كتمان اسمه(عج) مثلاً أو كتمان مبدأ وبعض طرق تواصله مع سفرائه الأربع.. ودخلنا عصر الغيبة الكبرى ليكون الكتمان والحذر هذه المرة هو صيغة بناء الرجال الموطئين للمهدي (عج)؛ ومن أمثلة ذلك: أن المقاومة الإسلامية في لبنان لولا قدرتها في رجالها ومشروعها وبنائها، وتأمين عتادها وتنفيذ عملياتها على التكتم، والحذر لما استطاعت أن تنجز انتصارات في عصر سُخِّرت فيه كل التقنيات العلمية والإدارية والسياسية لاستخبارات تترصد ما تحت الأرض فضلاً عما فوقها.. فرغم ما تمثله المخابرات المركزية الأميركية، والموساد الإسرائيلي، وما تعاضد في خدمتها من مخابرات دولية وإقليمية، فإن حسن سياسة التكتم والحذر التي التزمها رجال المقاومة وشعبها حينما تحولت في ثقافتهم إلى قيمة دينية خولتهم القدرة على التحدي، وإنجاز المعجزات وتحقيق الانتصارات..

مما يعني أن الأصل هنا هو الإحياء للأمر، والكتمان في خدمة هذا الأصل. يبقى القول أن الأمر بالمعنى الثاني والمتعلق بالسر ومعرفة السر فهو صعب مستصعب، لكنه غير ممنوع.. وهو مما يحتاج إلى معاناة في خوض الجهاد الروحي والنفسي المسمى بالجهاد الأكبر، والذي ينتمي إلى جهاد يمتثل الموقف المعبِّر عن قدرة استثنائية في تحمل مقتضيات الرسالة، والتسليم لأمر الله، وهذا ما يحتاج معه المجاهد المبتلى إلى خوض غمار تجربة جهاد، عنوانها وصيغتها تحمل البلاء في تحقيق معالم الرسالة وإحياء أمرها..

ليكون الإحياء في حياة الفرد وبأكثر خصوصياته شخصية كالبكاء، وهو هنا البكاء على من يمثل أمر الأئمة (ع) في مظلوميتهم وهو الإمام الحسين عليه السلام.....

وليكون الإحياء هو صيغة من صيغ تلاقي جماعة تريد التعرف إلى وليها عبر اجتماعها في مجلس العزاء واللطم والإنشاد...

وليكون الإحياء هو صيغة اجتماع جماعة الحق عند مقام وليهم وامامهم، يأتونه من كل حدب وصوب يحملون في نفوسهم قضاياهم وهمومهم، ويتشكلون عنده بسماتٍ واحدة رغم تنوعهم القومي، والعرقي...

وذلك من خلال الزيارة التي يؤدونها عند الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.. فتكون كل شعيرة تعبيراً عن موقف عقائدي وسياسي، بل هي موقف يراد منه وله أن يتحول إلى تيار عالمي يجمع الناس على القيم، ويحيي فيهم روح الأمل والذاكرة الواحدة، والهوية الواحدة، والقضية الواحدة، .. لتنطلق من التاريخ المتصل بالمصدر، برسول الله محمد (ص)، وكل إمام من أئمة آل محمد (ص)، ثم ليكون حاضر هذا التاريخ متجلياً بأمة تبكي لا لمجرد البكاء بل وكتعبير عن رفضها الظلم، وتهتف لترسم خط العدل وقيم الروح، وليميد بها النظر نحو مستقبل تهدف فيه تحقيق القيم والروح بحضور مادي منتظر، لمن يجسد القيم في أصولها ومعناها، حضور منتظر لمجيء الأمل والفرج والوعد الموعود، وهو حفيد الحسين عليه السلام الإمام محمد بن الحسن، المهدي عليه السلام.. وفي معتقد الثقافة الشيعية أن حضوره وظهوره سيوفر انتشاراً لقيم الحق والعدل والمعرفة...

ففي الوارد عن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن مثنى الحناط، عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، وأكمل به أخلاقهم»[٧٠] .

واليد هنا إشارة إلى القدرة؛ أي أن الناس صاروا تحت ولايته عليه السلام؛ أما

الرأس فهو التعبير عن ما يفتخرون هم به، وبالتالي فهم طوع ولايته برغبةٍ منهم، عندها يجمع الله به عقول الناس.. وهنا هذا الجمع هل يعني توحد تفكيرهم؟ أو أنه يعني أن عقول الناس تصبح واسعة جامعة؟

بالحالتين، فإن ميزةً استثنائية تحصل بفضل حكم ولايته عليه السلام وتكتمل به أخلاقهم...

وفي رواية أخرى عن موسى بن عمر بن يزيد الصيقل، عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن حمزة، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«العلم سبعة وعشرون جزءً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، لم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم (عج) أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضمَّ إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً»[٧١]؛ فالرواية هنا في الوقت الذي أكدت فيه على استمرار العلم الديني الذي بثه الرسل، إلا أنها أشارت إلى اكتمال هذا العلم الديني بالحجة (عج) ليصل إلى أبعد وسعة في مداه ورحابته...

وبالتالي، فيصبح إمكان معرفة ما يرغب كل عارف معرفته من أسرار الحقائق أمرا ممكناً، بعدما توفرت لدى الناس قابليات المعرفة، واستعدادات تلقي ما صعب من أمر الحقيقة التي يمثلها حال محمد وآله (ع) وأخبارهم الخاصة.. وهذا ما لا سبيل للوصول اليه إلا بعد توفر إنجاز فريضة «إحياء الأمر».

بالتالي فإن إحياء أمر النبي وآله فريضة يتوقف عليها.

أولاً: إنجاز المشروع الرسالي الخاص الذي أراده الرسول محمد (ص) وآل بيته الأطهار(ع)..

ثانياً: استكمال الكمال الإنساني بصورته الجماعية التي تنتشر بين الناس لتبني كمال النوع البشري.

وإذا كان أهم مقصد وغاية للدين هو تحقيق الكمال الإنساني، ونشر المشروع الإلهي للحياة في الأرض..

وإذا كان هذا المقصد يتوقف على إحياء الأمر «أمر النبي (ص) وأمر آل البيت (ع)» فإن الإحياء هو بلا شك واجب ديني مفترض.

وبما أن الأئمة (ع) تحدثوا عن جملة شعائر تنتسب لإحياء ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهي التي سُميَّت بالشعائر الحسينية، والتي أولاها الأئمة (ع) عناية خاصة باعتبارها تساهم مساهمة عظيمةً في فريضة إحياء أمر الدين والرسالة، فقد صار الاهتمام بتلك الشعائر ينطوي على قدسية دينية خاصة، لما تحمله تلك الشعائر من طاقة إحيائية، تلقفها الحس الإيماني عند الناس، ومع الوقت دخلت في صلب ثقافتهم وسلوكياتهم، بل ترتب على تبنيهم لها جملة من العادات والتقاليد، وعملوا على التعبير عن ذاك الحس الإيماني العاشورائي، بمجموع من المراسم وأساليب الإحياء منها ما لامس القضية العاشورائية في همومها الدينية والنهضوية، ومنها ما لامس التعبيرات الشعبية العفوية التي تعرضت للمساءلة الدينية والشرعية أحيانا، من مثل التطبير، والضرب بالسلاسل وغير ذلك.. وهنا لا بد من التذكر دوماً أن البعض اختلط عليه الأمر، إذ اعتبر أن المراسم لها نفس قدسية الشعائر.. ولم يميز بين ما دفع الأئمة (ع) إلى تأكيده بشكل واضح، وبين ما خرج من الناس كتعبير عفوي عن احتضانهم للحس الإيماني الحسيني، والذي شكل نماذج خاصة وأشكالاً معينة من الممارسة التي تحولت مع الوقت إلى التزامات شعبية، أصبغوها بصبغة القداسة، بل وأنزلوها منزلة الشعيرة..

ونحن مع مثل هذه التفرقة.. نحتاج إلى أن نؤكد أن المراسم الخاصة بإحياء الشعائر الحسينية، موضوع يخضع في تبنيه، والموافقة عليه، إلى مدى انسجامه مع أمرين اثنين:

أولهما: الأهداف والغايات والمقاصد التي حملتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام.. والتي لا بد أن تنعكس في أساليب إحياء تلك الأهداف، بالحياة العامة للناس، في كل عصرٍ من العصور.. وإلا فإن عدم الانسجام والوفاق بين

الأهداف والأساليب لا بد أن يطيح بالأساليب، مهما بلغ عمق استقرارها في العادات والتقاليد الشعبية... بل لا بد من مراجعة دائمة للبحث عن وجوه العلاقة بين الأهداف والأساليب المستجدة، وابتداع أساليب أكثر تلاؤماً ووفاقاً مع الهدف الحسيني النهضوي...

ثانيهما: مدى انسجام الأساليب المستجدة والمتطورة، مع نفس الشعائر التي أطلقتها النصوص الواردة عن الأئمة الأطهار (ع) في مضامين وروحية المقصود من تلك الشعائر التي أطلقتها النصوص عليها، من جهة، ثم ما مدى انسجام الأساليب والمراسم مع الاستجابة الموضوعية لأبناء كل عصر، بحيث يتلقون ويفهمون من تلك المراسم ما تريد مضامين الشعائر نفسها فعلى سبيل المثال لو سلمنا أن الناس في وقت من الأوقات كانوا يفهمون أن المقصود من التطبير، والضرب بالقامات[٧٢] والسلاسل، معنى رفض المظلومية.. فهل هذا المعنى ما زال يفهمه أبناء جيلنا اليوم من مثل هذا العمل؟ أم إنهم سيستنتجون منه مقاصد ومفادات سلبية تعني التخلف، والعنف الأعمى، والإحباط وغير ذلك؟

إن الإجابة، أو الإجابات عن مثل هذه الأمور والأسئلة، هي بلا شك كفيلة بتحديد حدود الموقف من تلك المراسم العاشورائية، ومعرفة موقعيتها النهضوية الحسينية.

لذلك؛ فإننا سنبحث النقطة الأولى بشيء من الإيجاز؛ لأن طبيعة موضوعها.. يحتاج التفصيل فيه إلى موضوع آخر غير هذا الكتاب.. إلا أننا سنبحث النقطة الثانية بشيء من التفصيل؛ لأنها هي أصلا تمثل «الشعائر الحسينية» والتي بموجبها نقايس مقاربة مراسم إحياء المناسبات الشعائرية لعاشوراء وللنهضة الحسينية في الحياة الإسلامية..

-III-

تاريخ وأهداف النهضة الحسينية:

لقد اعتدنا عند تناولنا موضوع النهضة الحسينية أن نلتقط اللحظة التاريخية لإعلان الثورة، وما تلاها من أحداث وقعت مع الإمام الحسين عليه السلام في مسيره الاستشهادي، منذ رفضه الإذعان لبيعة يزيد بن معاوية، وخروجه مع أهل بيته من المدينة المنورة، ورحلته التي لاقى فيها ما لاقى، وأحاديثه ورسائله التي بثها، وصولاً إلى المعركة التي خاضها في كربلاء، والتي أدت إلى استشهاده مع أهل بيته وأصحابه، ثم سبي نسائه، وما تلا ذلك من أحداث، ومواجهات وثورات، أو بمعنى أدق، انتفاضات قامت على إثر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام..

وهذا ينم عن فهم خاطىء لطبيعة الثورات والنهضات التاريخية العظمى، إذ نحن بهذه الطريقة نفصل النهضة عن مسارها التاريخي، الذي تراكم حتى أوصل الأمور إلى ما وصلت إليه... وفهم النهضة بمثل هذا الامتداد التاريخي الذي سبقها سيوفر علينا معرفة ودراية بالظروف والأسباب التي تستدعي القيام، عادة، بعمل مشابه، لهذه الثورة أو تلك، والأمر هنا طالما أنه مع رجلٍ معصوم كالإمام الحسين عليه السلام، وبالتالي ففعله حجة على من يأتمّ به، فإن معرفة الأسباب والظروف التي أثّرت في موقفه ستقدم للسائرين على خط الإمام الحسين عليه السلام المبررات الداعية إلى اتخاذ الموقف الاستشهادي الكربلائي، من جهة، وهي من جهة ثانية ستستبعد فكرة استثنائية الفعل الكربلائي في مسار الإسلام، واقتصاره على الحركة التاريخية للإمام الحسين عليه السلام، وكأنها حركة لا تحمل قابلية التأسي بها...

إن علينا، هنا، أن ندرس حيثيات الموقف الحسيني من جوانبه العقيدية والتاريخية لنستعلم طبيعة حركته ومقاصد أهدافه التي أراد...

ولعل قراءةً سريعة «لزيارة وارث» ستبين لنا البعد العقيدي الذي راكم

العلاقة الرسالية بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الرسل والأوصياء من قبله، لتستجلي طبيعة الدور الحسيني في مفاصل النهضة النبوية العامة في حياة الرسالات الإلهية..

إذ تقول الزيارة: «السلام عليك يا وراث آدم صفوة الله.. السلام عليك يا وارث نوح نبي الله.. السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله.. السلام عليك يا وارث موسى كليم الله.. السلام عليك يا وارث عيسى روح الله.. السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله.. السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين، السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء.. السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور، أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله حتى أتاك اليقين..»[٧٣].

ومثل هذه الزيارة التي تتحدث عن أن الإمام الحسين عليه السلام.. وارث آدم، ونوح، وإبرهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (ص) تشير إلى طبيعة الدور الرسالي للإمام عليه السلام، والذي هو استكمال لدور الأنبياء في إرساء قيمة نهضوية كبرى، تقوم على مبدأ التوحيد بما يعنيه التوحيد من رفض لكل صور العبودية الرخيصة، التي يفرضها الناس على بعضهم البعض..

كما تقوم على متابعة الأنبياء (ع) في استنفار كل جهد ليبسط سيادة العدالة في الحياة، والعدل في العلاقة بين الناس.. وإعلان حربٍ لا هوادة فيها على صنفين مركزيين من القيم السلبية في حياة الشعوب.

الصنف الأول: هو الذل وكل ما يورث الذل..

وهنا نشير إلى أن الذل هو ظلم فردي يستدعيه الإنسان لنفسه بارتكاب الحرام، ويقبله على نفسه بقبوله العبودية المهينة من الغير..

الصنف الثاني: هو الظلم، والظلم هو الذل إذا عمَّ الأمة والجماعة.. وهو بمثابة الكفر والشرك بالله سبحانه؛ لأنه بالواقع يؤسّس لهما في حياة الأمم والشعوب..

وحرب الأنبياء والرسل (ع) كما حرب الإمام الحسين عليه السلام للذل والظلم..

إنما كان بالعمل على تبيان وهن الذين اتخذهم الناس أرباباً من دون الله.. بل وتبيان خرافة القوة والسطوة المصطنعة عند أصحاب الجبروت سواءً تمثل هذا الجبروت بدولة أم حضارة أم شخص كيزيد، أم غيره...

ولإسقاط هذه الخرافة وتبيان وهن أصحاب الجبروت، كان لا بدَّ من تعبئة عقائدية تُعظِّم الله في قلب المؤمن، ليصغر ما دونه سبحانه في أعين أهل الإيمان.. وكان لا بد لأهل الإيمان من خوض حرب لا هوادة فيها ضد أولئك الأرباب من الدول والأمم والقادة المصطنعين، والحضارات المزيفة..

حربٌ أطلق عليها الله اسم «ذات الشوكة»(٧٤)، ورفع من شأن الذين يُقتلون فيها، فسمّاهم الشهداء الأحياء عند ربهم...

وجعل رمز هذه الحرب التي لا ترى في حساباتها إلا أداء التكليف، وإرضاء الله سبحانه.

جعل رمزها الامام الحسين عليه السلام.. الذي قال عنه النبي (ص) «إن لولدي الحسين مقاماً لا يناله إلا بالشهادة»(٧٥). وعن نفسه قال الإمام الحسين عليه السلام: «شاء الله أن يراني قتيلاً»..

إلا أن مثل هذه النهضة برمزها وأهدافها، يستحيل إلا أن يصدق عليها الوعد الإلهي بالنصر التام؛ والذي سيكون على يد صاحب الثأر الحسيني، إمام العصر والزمان الحجة الموعود (عج).. والذي على دربه تكون كل قوافل الشهادة والفتح الإلهي المؤزَّر، منذ الحسين عليه السلام حتى قيام القائم بالحق.. هذا كان على مستوى الهدف الرسالي العام،أما الهدف الخاص بالرسالة الإسلامية المختصة بالدعوة المحمدية.. فإن الإمام الحسين عليه السلام قد عمل على التصدي للانحراف عن رسول الله (ص).. والذي تصاعد بشكل تدريجي وأخذ الصور التالية:

أولاً: في الوقت الذي جاءت الآيات القرآنية لتقول للمسلمين، أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي (ص)... فإن البعض تجرأ واتهم النبي أثناء مرضه

الأخير بالهجر في القول؛ أي إنه يقول أموراً لا يفقه معناها؛ والعياذ بالله؛ ومثل هذا الاتهام عطل إمكانية الاستفادة من وصايا النبي (ص) الأخيرة؛ بمعنى أنه عطل مفاعيل المرحلة الأخيرة للوحي..

ثانياً: في الوقت الذي أسَّس فيه النبي (ص) مفهوم الأمة كقاعدة انطلاق، وارتكاز للفكر السياسي، والحاكمية في الإسلام؛ فإن نقاشات حصلت بعد وفاة النبي، عملت على إحياء نزعة الاستقواء بالمنطقة، والقبيلة، والعشيرة.. بل أن الأموية صارت هي الصورة الحاكمة في استحقاق المفاضلة والحكم بحيث إن النهج السياسي صار نهجاً يقوم على الإرث العشائري ويُعبِّر عن نفسه بصورة الخليفة - الملك.. وهكذا ضاع مفهوم الأمة، والناظم العقائدي للسياسة في حياة المسلمين..

ثالثاً: الانحراف عن نظام إمرة الإمامة، إلى نظام الشورى، وذلك بإخراج نظام الشورى عن كونه مبدأ أخلاقياً يلتزمه الإمام في إدارة شؤون البلاد والعباد، ليتحول إلى عمدة وأصل نظام الحكم.. وهذه المسألة «أثارت في نفوس الكثير من الأشخاص البارزين في قريش آنذاك، وفي نفوس قبائلهم مطامح سياسية ما كانوا ليحلموا بها»[٧٦] إلى أن تطور الموقف ليستغل معاوية كل الظروف ويسلك بالأمة مسلكاً كسروياً وقيصرياً، ضارباً عرض الحائط بالشورى وبالإمامة معاً...

رابعاً: خيانة بعض المسلمين للنبي (ص) في أهل بيته، وهو القائل حسب النص القرآني ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٧٧].

ففضلاً عما فعلوه بهم بعد وفاة النبي(ص).. فإن الناس أتوا علياً عليه السلام بعد مقتل عثمان، يطلبون منه أن يتسلم الخلافة فيجيب: «دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان.. لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول.. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم.. ولم أصغ إلى قول قائل ولا عتب عاتب»[٧٨].

وبالفعل فما إن كانت الخلافة للأمير عليه السلام حتى عمل على استعادة قيم التوحيد في الحياة العملية عند الناس فرفع شعار المرحلة «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»(٧٩).

ولما رأى أصحاب المصالح كيف تضرروا من صلاح أمير المؤمنين عليه السلام.. بدأوا بالتمرد وكان أوله في البصرة، حيث سرعان ما قضى عليه أمير المؤمنين عليه السلام. لكنّ معاوية فتح أبواب بلاد الشام ليستقبل كل المتضررين من عدالة أمير المؤمنين عليه السلام ليعلن بهم قيام الدولة السفيانية الأموية...

وأعلن الحرب على الإمام علي عليه السلام فكانت معركة صفين(٨٠) والنهروان(٨١)، وكان التحكيم .. وكان خذلان الناس الذي عبَّر عنه الإمام عليه السلام بطريقته حيث قال «لا رأي لمن لا يطاع»،(٨٢). ووقعت جريمة قتل الإمام عليه السلام في محراب المسجد لتعلن عن بدء رحلة الجريمة المعنوية والجسدية في آل رسول الله (ص)..

خامساً: تواطؤ الأمة على الأئمة (ع) والبقية الباقية من بيت النبوة؛ إذ ما إن استخلف الإمام الحسن عليه السلام والده، أمير المؤمنين عليه السلام.. حتى وقف في الناس حسب، رواية السيد محسن الأمين في كتابه المجالس السنية،.. خطيباً ودعاهم لنصرته، فبايعوه قائلين: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا.. وذلك يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمَّر الأمراء، وانفذ عبد الله بن العباس على البصرة(٨٣)

إلا أن معاوية ومنذ اللحظة الأولى بادر بالتآمر جامعاً عسكره، مدعياً أن قادة القوم بعد شهادة الأمير عليه السلام قد بدأوا بمراسلته ليبايعوه.. مما أوجد الاضطراب في صفوف أتباع الإمام الحسن عليه السلام.. ثم تحرك معاوية نحو العراق.. وبلغ الإمام الحسن عليه السلام خبر مسيره، فجمع الناس ليتحرك بهم استعداداً لمواجهة معاوية، إلا أنهم تلكأوا، وما أجابوه إلا بعد تدخل القادة الخُلَّص من حوله،.. فخرج عليه السلام إلى المعسكر ومعه أخلاط من الناس،

بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤوساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين. ثم سار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم حتى أتى موضعاً يقال له دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم أرسل عبيد الله بن العباس في اثني عشر ألفا مقدمة له..

وقال: إن أُصبت، فقيس بن سعد بن عبادة على الناس، فإن أُصيب فسعيد بن قيس الهمداني على الناس.. فسار عبيد الله حتى أتى مسكن - منطقة قريبة من نهر دجيل عند دير الجاثليق -.. وسار الإمام الحسن عليه السلام حتى أتى ساباط المدائن، فلما أصبح أراد أن يمتحن أصحابه؛ ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام، فتكلم معهم بكلام.. فما كان من بعضهم - الخوارج - إلا أن كفروه، وشدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مُصَلاَّه..

فما كان من شيعته إلا أن حموه بأرواحهم وأجسادهم. وعندما كان يمر في مظلم ساباط بدر إليه الجراح بن سنان الأسدي فأخذ بلجام بغلة الإمام عليه السلام وبيده مِغوَل(٨٤) وقال: الله اكبر، أشركت يا حسن، كما أشرك أبوك من قبل... ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم.. ولم يكتفوا بذلك... بل إنه عليه السلام لما نزل المدائن نادى مناد في العسكر، ألا إن قيس بن سعد قد قتل فنفروا إلى سرادق الحسن عليه السلام ونهبوا متاعه..

ثم بعدها تبين أن خبر مقتل قيس بن سعد كان دعاية كاذبة. إذ وصلت إلى الإمام عليه السلام رسالة من قيس بن سعد يخبره فيها خبراً مؤلماً مفاده أن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المسير إليه، وضمن له ألف ألف درهم.. فانسل عبيد الله في الليل إلى معكسر معاوية...

بل فضلاً عن ذلك فقد وصل للإمام عليه السلام أن معاوية قد وضع الجوائز لمن يغتال الإمام الحسن. وفي هذه الأثناء أرسل معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام

يطلب منه الهدنة.. حينها وبعد أن ألقى الإمام عليه السلام الحجة على الناس، بمواجهة معاوية فلم يجيبوه.. وكشف عن نوايا الخوارج، وأصحاب الأطماع، وأوضح لشيعته بما لا يقبل الشك حجم المؤامرة.. فإنه عليه السلام وافق على الهدنة ضمن شروط كان منها ...

١- أنه اشترط على معاوية أن لا يسميه أمير المؤمنين.. وهذا يعني رفض الاعتراف بشرعية حكم معاوية.

٢- ولا يقيم عنده شهادة.. وهذا يعني أنه يرفض اعتباره عادلاً، فضلاً عن أن يكون قاضياً..

٣- وأن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه في الصلاة.. ومن المعلوم ما فعله معاوية من دعاية عبر هذه الطريقة أرست في ذهن من لا يعرف علياً.. أنه خارج عن الإسلام..

٤- وأن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوءٍ.. ويوصل إلى كل ذي حق حقه.. وهذا فضلاً عما فيه من حماية للشيعة، فهو انتزاع إقرار من معاوية بفضلهم في الإسلام.

٥- وأن يوزع على عوائل من استشهد مع الإمام علي عليه السلام في الجمل وصفين ألف ألف درهم.. وهذا يعني أنهم شهداء وأصحاب حق؛ وبالتالي فمن قتلهم هو الظالم.

ومجموع هذه الشروط كانت تساوي؛ أن السكوت المؤقت عن معاوية سيحقق مكسباً مباشراً من جهة، وسينشر فيما بعد؛ بالدليل العملي أن الحق كان لجانب الإمام الحسن عليه السلام..

إلا أن معاوية وبعد موافقته على تلك الشروط ما أن حصل على الهدنة،.. حتى أعلن عن نكثه بكل التزاماته.. بل إنه سار حتى أتى النخيلة - معسكر الكوفة- فخطب الناس قائلاً: إني والله ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجّوا ولا لتزكوا.. ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم

له كارهون ألا واني كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها...»(٨٥).

وبعدها توجه الإمام الحسن عليه السلام، إلى المدينة مع الإمام الحسين عليه السلام. إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته، وعزم على البيعة لابنه يزيد. فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي عليه السلام وسعد بن أبي وقاص فدسّ إليهما السم.. علماً أن من شروط الإمام الحسن عليه السلام كان أن لا يعهد معاوية من بعده لأحد.. لذا فإن معاوية أغرى جعدة بنت الأشعث بأن يزوجها ابنه يزيد، وأرسل إليها المال وأقطعها من شعب سوراء وسواد الكوفة.. إن هي أسقت السم للإمام الحسن عليه السلام ففعلت حتى كانت شهادة الإمام الحسن عليه السلام - الذي مُنع من أن يُدفن بجنب قبر جده رسول الله (ص).. ثم كان دفنه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم-.

في يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر، وقيل السابع منه وقيل لخمس بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة(٨٦).

وبذلك أطبقت الدنيا على أيّ أمل بتثوير الناس ما دام معاوية بن أبي سفيان حياً...

وقد عمل معاوية على استغلال الغطاء الديني لنزع الشرعية عن الممثلين الحقيقيين لدين رسول الله (ص).. بل وظّف الروايات والاتجاهات والنظريات التاريخية لصالح سلطته، بحيث إنه حتى الموت الخفي الذي لا يثير أي ضوضاء، والذي كان (السمّ) فإن معاوية أطلق فيه مقولته المشهورة «إن لله جنوداً من عسل»(٨٧).

هذا ولم يفته أن يستخدم قميص عثمان لإيجاد أول تفريق مذهبي حاد في الإسلام، بين المسلمين، والذي، وتحت اسم الحفاظ على الإسلام؛ ذهب ضحيته أشرف الناس، وأقدس المقدسات..

إلا أن معاوية لم يجرؤ رغم كل ظلمه وبطشه؛ وبسبب كل هذه العوامل

السابقة؛ أن ينزع تسمية الإسلام، واسم محمد (ص) عن وجوه البلاد الإسلامية...

لذا فإن خطره كان مؤقتاً ومرهوناً بحياته. ومن هنا فلما كانت تأتي الرسل إلى الإمام الحسين عليه السلام تحثه على الخروج في وجه معاوية فقد كان عليه السلام يجيبهم:«فليبق كل رجل منكم حلْساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حيا»[٨٨] -بإشارة إلى معاوية-... بل كان ينصحهم:«إحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حياً»[٨٩] ونصيحته لهم بالاحتراس من الظنة، تأتي بسبب أن معاوية كان يقتل كل من يظن أنه من أشياع آل محمد (ص) وعلي عليه السلام.. ولعل رهان الإمامين، الحسن والحسين(ع)، إنما كان على أمرين:

الأمر الأول: إن الحكام الظلمة في التاريخ، يحافظون في مواقفهم على الدراية والتريث، ماداموا يستشعرون أن الخطر المواجه لهم كبير، وأنهم لم يصلوا إلى مرحلة الاستقرار في الحكم، لكن هؤلاء الحكام ما أن تصل بهم الأمور إلى حد الاعتقاد أن سلطتهم قد صارت مبسوطة كل البسط، وأنهم قد وصلوا إلى قمة المطلوب، فإنهم يبدأون باستعجال تنفيذ مخططاتهم، وإخراج كل السموم والضغينة والجبروت. ولهذا فإن أول بوادر بداية الوقوع بالأخطاء عند معاوية كانت حينما أعلن جهاراً عن نكثه العهد مع الامام الحسن عليه السلام.

لكن وبما أن الانحدار في سياسة هؤلاء الحكام قد تكون بطيئة، فإن سياسة الإمام الحسين عليه السلام مع معاوية، كانت تنقسم إلى استبعاد شر معاوية عن الموالين من جهة، ورده عليه بالمكاتبات بأجوبة قاسية تؤكد على رفضه له، مما كان يستفزُّ معاوية ويوقعه في أخطاء تفصيلية من جهة أخرى.

وهذا ما كان يمنع معاوية من إعلانه عن موقفه الرافض للإسلام كدين، ولو بشكل شكلي، واستمراره في ممارسة النفاق الديني والسياسي، إذ يضفي على أعماله اسم الإسلام، في الوقت الذي يُفرّغ تلك الأعمال من كل مضمون إسلامي. ومن أمثلة هذه السياسة التي اتبعها الامام الحسين عليه السلام في تطويق

معاوية. أن معاوية كان يراسله فيقول له - «أما بعد فقد انتهت إليّ أمور عنك إن كانت حقاً فإني أرغب بك عنها، ولعمري إن من أعطى عهد الله وميثاقه لجدير بالوفاء، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، ونفسك فاذكر وبعهد الله أوفِ، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكدني أكدك، فاتّقِ شر عصا هذه الأمة»(٩٠).

وهنا يأتي ردّ الإمام عليه السلام على معاوية يقول:«.. أما بعد فقد بلغني كتاب تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عنك جدير، وإن الحسنات لايهدي لها ولا يسدد إليها إلاّ الله تعالى. وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني، فإنه إنما رقّاه إليك الملاّقون المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الجمع، وكذب المعادون، ما أردت حرباً ولا عليك خلافاً. وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن الإعذار فيه إليك، وإلى أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة - وأولياء الشياطين . ألست قاتل حِجْر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين، كانوا ينكرون ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده. أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعدما أمنته وأعطيته من العهود ما لو فهمه الموصم لزلت قدمُه من رؤوس الجبال؟... وفي رسالة ثانية: أولست يا معاوية صاحب الحضرميين الذين كتب فيهما ابن سمية انهما على دين علي عليه السلام فكتبت إليه ان يقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ودين علي هو دين ابن عمه الذي كان يضربك ويضرب عليه آباءك وبه جلست مجلسك الذي أنت عليه، وقلت فيها قلت: انظر لنفسك ولأمة جدك ولدينك أن تشق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة ، وأني يا معاوية لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك

عليها ولا أعظم نظرا لنفسي ولديني ولأمة جدي من أن أجاهدك»[٩١].

وقلت فيما قلت إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، فكد ما بدا لك، فإني أرجو ان لا يضرّني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري، وما وفيت بشرط ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق ولم تفعل ذلك، إلا لذكرهم فضلنا وتعظيم حقنا وليس الله بناسٍ بالظنّة وقتلك أولياءه على الفّهم ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة[٩٢]»[٩٣].

الأمر الثاني: يبدو أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بأن مشروع معاوية هو أن يجعل يزيد خليفة شر أبيه.. لذا فإنه كان يعتبر أن التحرك حينها سيجد كل أسبابه الشرعية والأخلاقية والسياسية..

ومما يؤكد معرفته بنية معاوية ما قاله عليه السلام لمعاوية نفسه: «وفهمت ما ذكرت عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص.

وقد دل يزيد من نفسه على موضع رأيه، فخذ ليزيد ما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي تجده باصراً»[٩٤].

فهذا يعني بشكل واضح رفضاً لا رجعة عنه لأي وجه من وجوه الموافقة على يزيد.. إلا أنه سيشكل الموقف الأكثر إحراجا في سياسة معاوية.. لأنه سيضعه أمام منعطف هو الأخطر في تاريخ التجربة الأموية، وسيفتح الباب واسعاً أمام انتفاضات حقيقية في وجه المشروع الأموي..

وهذا ما سيدعونا للدخول إلى معالجة أوجه الأسباب والدواعي في قيام ثورة ونهضة الإمام الحسين عليه السلام...

-VI-

رفض مبايعة يزيد
وبدء التحرك الحسيني..

كما سبق وأشرنا فإن المكاتبة التي كانت تحصل بين الإمام الحسين عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان كانت تحفر عميقاً في مواجهة الظلم والنفاق الديني والسياسي الذي كان يمارسه الحكم الأموي.. كما وكانت تؤسس لترميم الوعي الإسلامي في حياة الناس الذين فتك بهم معاوية وأوصلهم إلى مرحلة الوعي المهزوم .. ونقصد بالوعي المهزوم هنا، ذاك الوعي الذي يخنق أي قابلية واستعداد على مواجهة الواقع السيء، وخلق ظروف ومناخات نهضوية بديلة عن واقع التردي والانحلال.. بل يصل الوعي المهزوم إلى مرحلة فقدان الذاكرة التاريخية، والعقيدية، والتلبس بما يقدمه العنف والإرهاب النفسي والفكري لواقع سلطة الجور والظلم..

عليه فما أن أسفر الصبح عن موت معاوية، فإن الناس الذين كانوا يطالبون الإمام الحسين عليه السلام بالخروج.. صار من الضروري الاستجابة لهم؛ لأنه عليه السلام كان يشير أنه ما دام معاوية حياً فهو لن يخرج.. أما الآن فقد مات معاوية..

وهنا صح تقدير الإمام الحسين عليه السلام في أن استفزاز معاوية سيخرجه عن طوره... وبالفعل، فإن وصية معاوية كانت قد عينت يزيد خليفة شرٍ من بعد أبيه.. وهذا ما سيقدم كل مبررات بدء التحرك للأسباب التالية:

أولاً: إن يزيد أرسل إلى والي المدينة الوليد بن عتبة قائلاً:«أما بعد فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا»(٩٥).

فالمنطق السياسي هنا تحوَّل الى عنفٍ سافر في الموقف، بعد أن كان معاوية

يستخدم السمّ في العسل.. وهذا سُيظهر أمام أعين الناس بشكل واضح، كل عناوين الصراع، وسيجعلهم مجدداً ضمن دائرة المتابعة. لذلك لما أرادوا البيعة من الإمام عليه السلام في داخل قصر الإمارة أجابهم عليه السلام:

«مثلي لا يبايع سراً، ولا يجتزىء بها مني سراً، فإذا خرجت للناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً»(٩٦).

فمطلوب الإمام عليه السلام كان إخراج الأحداث من دائرة العتمة إلى دائرة الوضوح في الصراع المفتوح أبداً بين الحق والباطل..

ثانياً: إذا كان بالإمكان، ولو على الغصص، السكوت عن معاوية.. فإن يزيد الذي يرتكب الحرام جهاراً ونهاراً، والذي إن حكم فسيحوّل فعل الحرام إلى عادة وتقليد في مجتمعات إسلامية. وهذا أمرٌ لا يمكن السكوت عنه إطلاقاً...

لأن يزيد كان يمثل جملة مخاطر...

١- أن عقليته مشبعة برغبة الترف الجاهلي والثأر من رسول الله محمد(ص)، ودين الإسلام وهذا الأمر عزّزه تربيته ضمن أوساط معادية لأصل الإسلام..

٢- أنه يستبطن الكفر، ويعلن الخروج والارتداد عن التزام فرائض الدين وضرورياته.. وهذا سيعني عمله على المجاهرة بما يستبطن وبث روح العبث بكل المقدسات..

٣- أنه إنسان متهتك لا يحسب للأمور أي حساب فلا تضمن عواقب أفعاله،.. وبالتالي، فقد يعرض البلاد لتكون لقمة سائغة لمطامع الدول المحيطة بها. وهذا كله يؤكد أن السكوت عن يزيد سيعني انتهاء الإسلام شكلاً ومضموناً، لذا وجب التصدي للمواجهة ولاستلام المهام الشرعية والتاريخية. فكان تعبير الإمام الحسين عليه السلام بقوله:«أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة.. معلن بالفسق والفجور.. ومثلي لا يبايع مثله»(٩٧).

فإذا كانت تلك الموبقات مشتركة مع معاوية فإن ميزة يزيد هي الإعلان بفسوق وفجور عن التزامه تلك الموبقات.. وهنا خطر عنوانه: على الإسلام السلام، إذا ابتليت الأمة بمثل يزيد.

ثالثاً: إن مراسيل الناس بمبايعة الإمام الحسين عليه السلام قد كثرت.. ويبدو أن الإمام عليه السلام برغم ما خبر هؤلاء الناس وعلم عن تقاعسهم عن النصرة... إلا أنه كان يعتبر أن وصوله إليهم في الكوفة سيجعلهم متراصين في مواجهة يزيد.. لذا كان إصراره على الوصول إلى الكوفة بأسرع وقت ممكن.

رابعاً: إن أي تراجع عن الموقف سيعني نهاية المشروع الإسلامي، وتعرض ولاية محمد (ص) للخطر.. فالأمويون لن يتركوا الإمام عليه السلام حياً.. وهم قد وصلوا في مواجهة المشروع الإسلامي إلى آخر مرحلة.. ولا يخفف من شدة انجرافهم للقضاء على أصل المشروع الإسلامي إلا المواجهة الاستشهادية، التي إن قتل فيها الثوار كانوا شهداء يفتحون عهد نهوض إسلامي واع وجديد.. وإن انتصروا فإنهم يؤسسون لفتح نهضوي يقوِّم ما اعوجّ من الدين والسياسة والأخلاق..

أمام جملة هذه الدواعي والأسباب يمكننا استكشاف أن هذه النهضة الحسينية، لم تكن عملاً قبلياً واجه فيه بنو هاشم الأمويين.. وإن عبَّر يزيد عن قراءة قبلية للصراع، وطلب السلطة حينما أخبروه بمقتل الإمام الحسين عليه السلام فقال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل(٩٨)
لاستهلوا واستطاروا فرحا	ولقالوا يا يزيد لا تشل
ما أبالي بعد فعلي بهم	نزل الويل عليهم أم رحل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من أبنائهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
فبذاك الشيخ أوصاني به	فانبعت الشيخ في قصد سيل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل(٩٩)

كما وأن هذه النهضة لا يمكن اعتبارها مجرد خروج على سلطان، ابتغاء اعتلاء سدة الحكم. وإن كان إسقاط سلطان ظالم كيزيد، وتسنم الحكم من قبل رجل دولةٍ ودين عادل كالإمام الحسين عليه السلام عملاً شريفاً.. إلا أنها غاية إن حصلت فلا حرج، لكن الغاية المقصودة كانت حفظ الأمر الإلهي، وإحياء سنة رسول الله محمد (ص). بل يمكن القول إن النهضة لم تستهدف مجرد الاستشهاد، إذ الشهادة وإن كانت طموح المجاهدين، لكن الغاية منها هو التزام الأمر الإلهي بسيادة الحق والعدل في الحياة.. وفي طريق تطبيق هذا الحق، أو الدفاع عنه، فإن المجاهد وصل إلى درجةٍ من الثبات على القضايا التي يؤمن بها بحيث إنه مستعد لبذل الروح في سبيلها خاصة أنه يعرف أن في ذلك تحقيقا لمرضاة الله، وأنه بذلك يفتح أفقين من الحياة:

الأفق الأول: وهو الحياة الخاصة بالشهداء إذ بها يحقّق الخلود عند ربه سبحانه.

الأفق الثاني: وهو بث الحياة في موات المجتمعات المسلوبة من حقوقها وإرادتها ووعيها...

أما الشهادة، فإنها مقام ورتبة على درب السير والسلوك النهضوي لبناء الحياة، كما أرادتها الرحمة والمحبة الإلهية..

فالفتح والنصر هما المطلوبان.. والشهادة سلاح المجاهدين الأمضى في صراعهم من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل..

وقد رسمت نهضة الإمام الحسين عليه السلام الاستشهادية في الوعي الإسلامي مجمل هذه المفاهيم، وحوّلتها إلى أهداف حقيقية.. وذلك بسبب ما احتضنت حركة الإمام الحسين عليه السلام من تأكيد على المبدأ ومن نصوص توضح الأهداف، ومن مواجهات دموية، رسمت صورة القدرة والعظمة، رغم قلة العدة والعديد...

الأمر الذي أفسح أمام ذكرى إحياء المناسبات العاشورائية، طاقة هائلة على إحياء أمر الله ورسوله (ص)، وأمر الدين، وآل بيت النبوة الأطهار (ع)..

وهذا الإحياء هو ما اصطلح عليه باسم «الشعائر الحسينية».

التي أوضح مؤسسها (الإمام الحسين عليه السلام) أهدافها ومراميها ومقاصدها بتحركه من جهة.. وبأقواله من جهة ثانية والتي مما قال فيها:

❖ «إن هؤلاء قومٌ لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا»[١٠٠].

فالهدف إذاً: إعلاء كلمة الله .. وذلك بمواجهة وحرب كل موارد الضعة الإنسانية والظلم الاجتماعي وانتهاك حرمات الله .. وهي حرب تقوم على نصرة الدين، وإعزاز الشريعة، والجهاد في سبيل الله سبحانه..

❖ «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي، وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب»[١٠١].

فهذه الوصية المباركة أسست لجملة القيم والمنطلقات والأهداف الخاصة بالنهضة الحسينية وأي نهضة تقوم على أسس حسينية ومن هذه القيم والأهداف نذكر:

١- أن تكون شهادة المجاهد مبنية على شهادة حق لا رجعة عنها بكافة الأصول الإسلامية والإيمانية.

٢- قيام النهضة على وعي كامل بمقتضيات ممارسة الموقف الرسالي، وتخطيط تام لتحقيق الأهداف المنشودة.

٣- إلقاء الحجة على الغير، بحيث إن المسيرة النهضوية إذا انطلقت فإن أحداً لا يمكن أن يعطلها.. وإنها ستضع الآخرين أمام مسؤولياتهم الشرعية والإنسانية.

ومثل هذه المنطلقات والأهداف لا بد أن تحمي كل نهضة، وكل عمل ينتسب إلى الإمام الحسين عليه السلام. وإلا فإن النهضة إذا خلت من مثل هذه الأهداف والمنطلقات فلا يمكن عدها مما ينسجم مع النهضة الحسينية، كما وأن الشعائر إن لم تُعلمِ ولم تنشر مثل هذه المنطلقات والأهداف فلا يمكن اعتبارها شعائر حسينية..

❖ هذا وقد رسم الإمام الحسين عليه السلام معالم روحية مواجهته لقوى الباطل، والتحدي .. ليرسم بذلك الروحية والمعنوية التي ينبغي أن تتحلى بها كل الحركات النهضوية الإسلامية.. فمما جاء عنه عليه السلام عندما هدده أحدهم بالموت أنه قال عليه السلام: «ليس شأني شأن من يخاف الموت، ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه..

أفبالموت تخوّفني؟! هيهات طاش سهمك، وخاب ظنك، لست أخاف الموت، إن نفسي لأبكر، وإن همتي لأعلى من أن أحمِلَ الضيم خوفاً من الموت، وهل تقدرون على أكثر من قتلي؟!.

مرحباً بالقتل في سبيل الله، ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي، ومحو عزي، فإذا لا أبالي بالموت»(١٠٢).

ومثل هذا الفهم للحياة والموت والشهادة.. أسس لقيم النظرة الإسلامية الحسينية لطبيعة التعاطي مع ثلاثي الحياة والموت والشهادة.. كما أسس لإرادة التحدي ومواجهة أقسى الظروف بأمل حفظ عزة الإسلام والأمة، وإلقاء اليأس في قلب الذين كفروا.. فعندما يواجه المجاهد الموت بابتسامة وثبات على

الموقف.. فإنه بذلك يُفرِّغ كل طاقة القوة التدميرية، من القدرة على تحقيق أهدافها.. بحيث لن يبقى أمام الباطل من خيار سوى الاعتراف بالعجز، وانتظار الفشل.. إفساحاً للحق الشاهد والشهيد أن يبسط سؤدده وأن يوثق عرى مجده وعزه..

وهنا علينا الإشارة، أن كل الأحداث التي وقعت في مسير النهضة الاستشهادية الحسينية، والتي شكلت مادة الشعائر الحسينية، حملت هذه الروح من الاقتدار.. لذا ينبغي التنبه أن إحياء الشعائر الحسينية ما لم يتفاعل مع هذه الروح، فلن يكون إحياءً حسينياً مجبولاً بدم الحسين عليه السلام وجهد المجاهدين، وإيثار الشهداء الصلحاء...

الهوامش:

١- الحج:٣٢.

٢ - البقرة:١٩٨.

٣- المائدة: ٢.

٤- الفيروز آبادي: «القاموس المحيط» دار الرسالة، ط١٩٨٦ ، بيروت، مادة شعر.

٥- م.ن، نفس المعطيات.

٦- الزبيدي، محمد مرتضى:«تاج العروس» مكتبة الحياة، بيروت، د.ط،د.ت،ج٧، ص ٣٣.

٧- ابن منظور: «لسان العرب» تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٩٨٨، مادة شعر.

٨- المراغي عبد الفتاح الحسيني:«العناوين الفقهية»، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي،جماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٧هـ،ج١، ص٥٥٨.

٩- البقرة:٤١.

١٠- المائدة:٥٧.

١١- المراغي : «العناوين...» م.ن،ج١ ص ٥٦١.

١٢- الاسترشاد، ويقال:هدى فلان: سار سيره.

١٣- المائدة:٢٧.

١٤- الأصفهاني، الراغب: «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» تحقيق صفوان عدنان الداوودي، دار القلم، دمشق، ط٢، ص٦٦٥.

١٥- ابن أبي جمهور الأحسائي: «عوالي اللئالي العزيزة في الأحاديث الدينية» تحقيق السيد مرعشي والشيخ مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١ ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ج١ص٥٦.

١٦- المتقي الهندي:«كنز العمال» تحقيق بكري الحياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١ص٣٨٩. .

١٧- الإمام علي:«نهج البلاغة» تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج٤ص٣٤.

١٨- الزمخشري، محمود بن عمر: «الفائق في غريب الحديث» دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٢ص٢١٦.

١٩- ملاحظة أن الشعيرة تنشئ حدوثاً وتحفظ استمراراً لذا فلا علاقة للظروف بخصوص الشعائر الحسينية.

٢٠- عبد الوهاب، حسين بن: «عيون المعجزات» نشر محمد الكتبي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩هـ، ص٥.

٢١- للمزيد حول الموضوع راجع مجلة «حياتنا الليتورجية» العددين١-٢ الصادر عن مركز دراسات والأبحاث المشرقية في جامعة الأنطونية، بيروت، ٢٠٠٠، لاسيما العدد الأول المخصص

لدراسة القربان في الديانات.

٢٢- الحج: ٣٧.

٢٣- امتحن.

٢٤- ظرف زمان أو مكان بمعنى عند، إلا إنه أقرب مكانا وأخص.

٢٥- جمع نتيقة، البقاع المرتفعة.

٢٦- قطع الطين اليابسة.

٢٧- الجانب.

٢٨- السهلة اللينة.

٢٩- قليلة الماء.

٣٠- مال وتوجه إليه.

٣١- المرجع.

٣٢- موضع الماء والكلأ.

٣٣- رؤوس أكتافهم.

٣٤- يرفعون أصواتهم بالتلبية.

٣٥- يهرولون.

٣٦- المنتشر الشعر مع تلبد فيه.

٣٧- ألقوا.

٣٨- الثياب.

٣٩- ترك الشعر بلا حلق أو قص.

٤٠- تطهيرا.

٤١- الإمام علي:«نهج البلاغة»،م.س، الخطبة ١٩٠.

٤٢- م.ن، ج٤، ص٥٥.

٤٣- عقدة أوديب من العقد النفسية التي تطلق على الطفل الذي يحب والدته ويتعلق بها لدرجة الغيرة على الأم من الأب . وعقدة أوديب استوحاها العالم النفس (فرويد) من قصة يونانية شهيرة وهي قصة أوديب - راجع بهذا الشأن كتاب يوم الدم لرالف رزق الله، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت.

٤٤- الأنعام: ١٦٤.

٤٥- الشرح:٥.

٤٦- الحج: ٣٢.

٤٧- كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير والناقة.

٤٨- القمي، جعفر بن محمد: «كامل الزيارات» تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، دار الفقاهة، قم، ١٤١٧ ،ص١٠٧.

٤٩ - م.ن، ص ١٢٥.
٥٠- م.ن، ص١٣١.
٥١- القمي: كامل الزيارات م.س، ص١٠٧.
٥٢- م.ن، ص١٥٤.
٥٣- دلت أكثر من آية على هذا الأمر منها، قوله تعالى﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام:٨٤) وقوله ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾ (مريم:٤٩) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنعام:٧٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت:٢٧).
٥٤- الأصفهاني،أبو الفرج:«مقاتل الطالبين» تحقيق كاظم الحيدري، المكتبة الحديرية، النجف، ط٢، د.ت، ص٣٩٦.
٥٥- الطبري، ابن جرير :«تاريخ الأمم والملوك» تحقيق نخبة من العلماء، دار الأعلمي، بيروت،ج٧، ص ٣٦٥.
٥٦- يقول الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين،م.س، ص ٣٩٥ : حدثني أحمد بن الجعد الوشاء، وقد شاهد ذلك (أن المتوكل)... وبعث برجل من أصحابه يقال له : الديزج، وكان يهوديا فأسلم، إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب كل ما حوله، فمضى ذلك وخرب ما حول، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوما من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه. فحدثني محمد بن الحسين الاشناني، قال: بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفا، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجري الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكبينا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.
٥٧- أنظر كتاب «يوم الخلاص» لكامل سليمان، كما يمكن العود إلى هذا الحديث في كتاب «معجم أحاديث الإمام المهدي» الشيخ علي كوراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ،ج٤ص٢٢١، وورد هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث ورد في كتاب «الغيبة» الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق عبد الله الطهراني و علي أحمد صالح،

مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ص ١٦٧-١٦٨، وورد في الكتاب: أخبرني جماعة، عن أبي المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن المطلب رحمه الله قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن بحر بن سهل الشيباني الرهني، قال: أخبرنا علي بن الحارث، عن سعد بن المنصور الجواشني قال: أخبرنا أحمد بن علي البديلي قال: أخبرني أبي، عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وداود بن كثير الرقي وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا الصادق عليه السلام فرأيناه جالسا على التراب، قال : أما مولد موسى عليه السلام فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده، أمر بإحضار الكهنة، فدلوا على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفا وعشرون ألف مولود، وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تعالى إياه. كذلك بنو أمية وبنو العباس لما أن وقفوا على أن به زوال مملكة الأمراء والجبابرة منهم علي يدي القائم منا، ناصبونا للعداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام ، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

٥٨- جرت ثورة الجند عام ١٧٨هـ في إفريقية بزعامة عبد الله بن عبد ربه بن الجارود على الفضل ابن روح بن حاتم أمير إفريقية، وقاموا بالسيطرة على القيروان .

٥٩ أخطر الثورات التي شهدها العصر العباسي كانت هي الثورة التي قادها علي بن محمد (٧٢هـ - ٣٨٨م)، والتي بدأت في البحرين سنة ٤٩-٢ه- سنة ٨٦٣م، وهي التي اشتهرت باسم (ثورة الزنج)...

٦٠- حركة سياسية ظهرت بعد ثورة الزنج، قادها حمدان بن الأشعث، الملقب بقرمط.

٦١- المجلسي، محمد باقر:« بحار الأنوار» مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ١٩٨٢م، ج٧٢،ص٧٤.

٦٢- المجلسي، بحار الأنوار،م.س، ج٢٧ص٤٢٢ عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حديث كثير فقال : هل كتمت علي شيئا قط ؟ فبقيت اذكر فلما رأى ما بي قال: أما ما حدثت به أصحابك فلا بأس به ، إنما الإذاعة أن تحدث به غير أصحابك.

٦٣- الحلي، الحسن بن سليمان: « بصائر الدرجات» المطبعة الحيدرية، النجف المشرفة، ط١، ١٩٥٠م، ١٣٧٧هـ، ص١٠٢.

٦٤- الكليني:« الكافي» تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، ط١٣٦٥،٤، ج٢ص٢٧١.

٦٥- هود: ٩٣.

٦٦ - الأعراف: ٧١..

٦٧- المجلسي، بحار الأنوار،م.س، ج٥٢ص١١.

٦٨- المجلسي، بحار الأنوار،م.س، ج٢ص١٨٩.

٦٩- عبد الوهاب، حسين: «عيون المعجزات» محمد كاظم المكتبي، المطبعة الحيدرية، ص٥.
٧٠- الحلي، الحسن بن سليمان: «مختصر بصائر الدرجات»، دار المفيد، بيروت، ص ٢٦٩.
٧١- م.ن، المعطيات نفسها.
٧٢- ضرب الرؤوس.
٧٣- المشهدي، محمد بن الحسن: المزار الكبير تحقيق جواد القيومي،نشر القيوم، طهران، ط١، ١٤١٩، ص٤٣٠.
٧٤- يقول تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال:٧).
٧٥- المجلسي: «بحار الأنوار» م.س، ج٤٤، ص٢٤٢.
٧٦- شمس الدين،محمد مهدي:«ثورة الحسين(ع) ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية» المؤسسة الدولية للدراسات،بيروت، ط٧، ١٩٩٦ ،ص٣١.
٧٧- الشورى:٢٣.
٧٨- يوضح الإمام علي عليه السلام في هذا المقطع كيف ان موقعية الإمامة تعمل في الفتن على استثارة الحق دون ان تأبه لمدح المتلقين او عتب العاتبين مهما بلغ الأمر...) ورد هذا النص في نهج البلاغة، تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت،خ ٩٢، ج١، ص١٨٢. ويمكن متابعة هذه الخطبة في كتاب «مناقب آل أبي طالب» تحقيق لجنة من علماء النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ، ج١ ،ص٣٧٨...
٧٩- الإمام علي: «نهج البلاغة» م.س، خ٢٧، ج١ص٢٧، تحت عنوان من كلام له يقوم مقام الخطبة.
٨٠ - وقعة صفين: هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب(ع)، و جيش معاوية بن أبي سفيان في سنه ٣٩ هجرية.
٨١- وقعة النهروان هي المعركة التي خاضها الإمام مع الخوارج.
٨٢ - م.ن، خ٢٧ ،ج١ص٧٠
٨٣ - راجع محسن الأمين، المجالس السنية،ج٢، ص ٢٦١.
٨٤ - وهو سيف دقيق يكون غمده كالسوط.
٨٥- الأصفهاني :«مناقب آل أبي طالب» م.س، ص٤٥.
٨٦- راجع الأمين، محسن «المجالس والسنية» م.س، ج٢.
٨٧- أورد الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه «حياة الإمام الحسين(ع)» الصادر عن دار الآداب، النجف الأشرف،ج ٢ ص ١٤١ : لما دسّ معاوية السمّ إلى الزعيم الكبير مالك الأشتر أقبل على أهل الشام فقال لهم :«إن عليا وجه الأشتر الى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه. فكان أهل الشام يدعون عليه في كل صلاة، ولما أخبر بموته أنبأ أهل الشام بأن موته نتج عن دعائهم لأنهم حزب الله، ثم همس في أذن ابن العاص قائلا له:«إن لله جنودا من عسل».

٨٨- الأردبيلي، علي بن عيسى:«كشف الغمة في معرفة الأئمة» دار الأضواء،بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ج٣،ص٢١٣.

٨٩- أبو حنيفة الدينوري: «الأخبار الطوال» تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠، ص٢٢١.

٩٠- المجلسي:«بحار الأنوار» م.س، ج٤٤، ص٢١٢.

٩١- يشتغل على العامل النفسي لدى معاوية.

٩٢- كما فعل بأبي ذر.

٩٣- الشيخ الطوسي:«اختيار معرفة الرجال» تحقيق ميرداماد ومحمد باقر الحسيني ومهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤، ج١، ص٢٥٢.

٩٤- ابن قتيبة الدينوري:«الإمامة والسياسة» تحقيق محمد طه الزيني، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،د.ت، ج١، ص ١٩٥.

٩٥- الدينوري:«الإمامة والسياسة» م.س، ج١ص٢٢٥.

٩٦- القرشي:«حياة الإمام الحسين» م.س، ج٢، ص١٥٤.

٩٧- المجلسي:«بحار الأنوار» م.س، ج٤٤،ص٢٢٥.

٩٨- كل ما رقق من الحديد من سيف أو سكين أو سنان.

٩٩- الأصفهاني:«مقاتل الطالبيين» م.س، ص٨٠.

١٠٠- الحكيم، محسن:«لواعج الأحزان في مقتل الحسين» مكتبة البصيرتي، قم، ١٣٧١، ص٩٢.

١٠١- المجلسي:«بحار الأنوارسم»، ج٤٤ص٢٢٥.

١٠٢- معهد تحقيقات باقر العلوم(ع):«كلمات الإمام الحسين(ع)» منظمة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦، ص٣٦٠.

الفصــل الثــاني

الدور النهضوي للشعائر الحسينية

الدور النهضوي للشعائر الحسينية

إن الحديث حول الشعائر الحسينية هو حديثٌ عن عملية «إحياء أمر الدين والرسالة» هذا الدين وهذه الرسالة التي ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك في سبيلهما.. وإن عملية الإحياء هذه من خلال الشعائر تعني التحرك على أساس إيجاد نهضة حسينية لدى الأجيال من منطلقات دينية مقدسة..

هذا ويمكننا أن نقسّم الشعائر الحسينية بشكل عام، إلى أقسام ثلاث، تمثل مداميك حركة النهوض الحسيني وبشكل متفاعل فيما بينها.. فإذا ما كان التقسيم سيظهر نقطة تلو أخرى، فهذا لا يعني أن النقطة أو الخطوة الأولى هي قبل الثانية بالضرورة كما أن الثانية تتجاوز الأولى بالضرورة.. إذ قد تحدث عملية التغيير النهضوي في الخطوة أو النقطة الثانية، أو الثالثة لتأتي بعدها الخطوة الأولى، أو بمعنى أدق النقطة الأولى.. فالعلاقة بين هذه الأقسام هي علاقة تفاعلية، وليست علاقة تراتبية لكنها بمجموعها تشكل مسار النهوض الثوري في حياة الأمة المستهدية بالحسين عليه السلام في فعلها الجهادي - الاستشهادي. وفيما نرى فإن هذه الشعائر تنقسم إلى:

أ- الشعائر التي تدخل النفس من خلال الوجد والألم والحزن الذي يعايش التجربة الحسينية في كل أبعادها لتحدث في النفس التغيير المناسب والموائم للمشروع النهضوي الحسيني.

ب- الشعائر التي يمارسها جماعة أهل الولاء، فتشكل عندهم الهوية الجمعية الحاضرة للبدء بعملية النهوض الحسيني والدفاع عن القضايا

الإسلامية المحقة.

ت- الشعائر التي يعمل أهل الولاء على نشرها بين الناس لإحداث عملية التغيير بمقتضى الروحية الحسينية الاستشهادية.

-I-

شعائر إثارة الحزن وتغيير ما بالأنفس

الشعائر التي تترك للنفس والجسد حرية التعبير عن عمق الشعور بالمظلومية التي لاقاها الإمام الحسين عليه السلام، وحجم الأسى لتلك الفاجعة التي وقعت به عليه السلام وبآل بيته والأصحاب... هي التي سنصطلح على تسميتها بشعائر الحزن وتغيير ما بالأنفس، هذا ونذكر منها:

١- **البكاء**: وقد ورد بالحث عليه أنه يوجب الغفران من كل ذنب.. فعن الريان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك.. غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً»(١).

٢- **التباكي**: عن أبي عبد الله عليه السلام: «من أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة»(٢).

والتباكي هنا يحتمل ثلاثة وجوه...

الوجه الأول: أن يكون من باب التفاعل مع الغير، من أجل تحصيل حالةٍ تصيب الحاضرين أثناء الإنشاد على الإمام الحسين عليه السلام؛ بحيث يتوفر الموقف على جو ومناخ من المعونة على التباكي، بخلق الظروف المؤاتية والمساعدة لمثل هذا التعبير عن الأسى والحزن...

الوجه الثاني : أن يقصد به الرياء وهو وجهٌ يخالف ما عليه قواعد الشريعة، وأخلاق الأحكام والمعنوية الدينية، فإن الرياء يُذهب بالأجر وهو من

الشرك الخفي... وبالتالي، فما ذهب إليه البعض من اعتبار هذا الوجه، ضعيفاً ولا ينسجم مع قيم الأصول التربوية والروحية الإسلامية، هو أمرٌ صحيح وأكيد.

الوجه الثالث: وهو الضغط على النفس للبكاء من أجل تعويدها على سنة البكاء عند مصاب الإمام الحسين عليه السلام. وصولاً لتحقيق الحالة المطلوبة، وهي البكاء عند مجرد ذكر المصاب.. ولا يخفى أن التحلي بالأخلاق الحسنة يحتاج في الكثير من الأحيان إلى التدرب على مثل هذه التخلقات. فالتكرار والعادة هما خطوتان ضروريتان لتجاوز الكثير من الآفات الأخلاقية، وتحصيل خلقٍ حسن..

وهذا الوجه هو ما نميل الى كونه مقصوداً من رواية الإمام الرضا عليه السلام...

٣- النياحة اجتماعٌ على الحزن.. : وهو بكاء بصوت عالٍ مرتفع، تذكر فيه أمور تتعلق بالمأساة أو الواقعة وتعبِّر عن حزن عميق لفقدان عزيز.. وقد تكون بصوت فيه رنة[٣].. بل قد يصاحب النوح نوع من الجزع[٤].

وقد ورد في النوح عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره، ممن لا يتقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه»[٥].

هذا، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم النياحة كالشيخ في المبسوط[٦]، ولعل البعض استدل بما ورد عند الصدوق في الفقيه:«من ألفاظ رسول الله(ص) الموجزة التي لم يُسبق إليها: النياحة من عمل الجاهلية»[٧]. وعن الإمام الصادق عليه السلام «نهى الرسول عن الرنة[٨] عند المصيبة، ونهى عن النياحة والاستماع إليها»[٩] ... إلا أن صاحب الجواهر ذهب للقول أن النهي ورد في ما لو كان في النياحة كذب أو ذكر ما يسيء الميت في أفعال شائنة..

أما ما ورد مما فيه الموافقة على النياحة فقول الامام الصادق عليه السلام، حينما سئل عن جواز إعطاء النائحة مقابلاً مالياً فقال:«لا بأس، فقد نيح على

رسول الله»[١٠]. وحينما يصح إعطاء النائحة أجراً مالياً فهذا يعني إمكان النوح وجوازه..

هذا وقد اقتطع بعض الرافضين للشعائر من التكفيريين أقوالاً لبعض علماء الشيعة، وما نقلوه عن رسول الله(ص) والإمام الصادق عليه السلام ليتهموا الشيعة بمخالفة ما يؤمنون به.. متعمدين - أي التكفيريين- إغفال متى يصح النوح، ومتى لا يصح.. وما هي وجهة نظر علماء الشيعة المتكاملة بهذا الشأن سواءً على المستوى الفقهي الذي أسلفناه.. أم على المستوى التاريخي، إذ إن أول من بكى الحسين عليه السلام كان رسول الله محمد(ص)، وقد تتالت هذه الحالة بعد النبي (ص)، مع الأئمة الأطهار (ع) جميعاً.. وهو ما سوف نتناوله بشيء من التوضيح فيما بعد بإذن الله..

٤- **الجزع**: وهو بحسب كتاب العين للفراهيدي نقيض الصبر،[١١]. كما وجاء في لسان العرب.. قال الله تعالى:**﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ◊ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾**[١٢].. الجزوع ضد الصبور على الشر، والجزع نقيض الصبر[١٣]. أما الراغب في مفرداته فيقول: «قال تعالى **﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾**[١٤]..الجزع أبلغ من الحزن، فان الحزن عام والجزع هو:

«حزنٌ يصرف الإنسان عمَّا هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصل الجزع قطع الحبل من نصفه، يقال: جزعته فانجزع، ولتصور الانقطاع منه، قيل: جزع الوادي لمنقطعه، ولانقطاع اللون بتغيره....»[١٥].

فيستفاد من المعنى اللغوي أن الجزع حالةٌ من الحزن الشديد الذي يسيطر على الإنسان فيعيش الإنسان حالة حزنه؛ بحيث يتيه عن شؤون حياته العادية، إلى درجة يكاد أن ينقطع فيها عما يحيطه.. ويؤثر ذلك في مظهره وشكله.. بل وفي معنوياته بحيث لا يحتمل مع الجزع صبراً على الأمر.. من هنا قد يظهر بالنوح العالي، أو بالعويل، أو بالدعاء بالويل والثبور.. أو بأن يضرب يده على جبينه، وينتف شعره ويجزه، أو يمتنع عن الطعام...

وقد ورد في وسائل الشيعة أنه: «لما قبض علي بن محمد العسكري عليه السلام رؤي الحسن بن علي عليه السلام وقد خرج من الدار، وقد شق قميصه من خلف وقدام»[١٦].

وقد اتفق العلماء على أن جزَّ الشعر في المصاب محرَّم.. واختلفوا في كفارته...

يبقى أن هناك من ذهب إلى أن الجزع على مصاب الإمام الحسين عليه السلام خاصَّة لا حرمة فيه بل عند بعضهم مستحب لقوله عليه السلام: «البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور»[١٧]. أما البعض الآخر.. كما عند الشيخ المفيد في الإرشاد، فإنه منهيٌّ عنه لقول الإمام الحسين عليه السلام لأخته «زينب» يا أخية إني أقسمت فأبري قسمي، لا تشقي علي جيبا، ولا تخمشي علي وجها، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت»[١٨].

ورد البعض على هذا القول، بأنه نهيٌّ خاص بالعقيلة زينب(ع)، وبعد مصرعه عليه السلام فقط.. فلا يشمل جزع العقيلة بعد ذلك، ولا جزع غيرها عليه عليه السلام..

واستدل بمناقشته بخبر «خالد بن سدير»: «ولقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود، الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب»[١٩].

لكني لا أدري من أين استدل على أن زينب (ع) فعلت ذلك؟! وكيف استدل على أن الوقت محددٌ بما بعد الموت مباشرةً.

علماً أن مقتضى الدور وما حدَّث به التاريخ عن سيرة الحوراء زينب ومستوى تحملها للمسؤولية، لا يشيران إلى جزعها الذي قطعها عن وصية أخيها الحسين عليه السلام..

وإذا كان هناك من استثناء بخصوص الإمام الحسين عليه السلام لإبراز طبيعة ما أولاه الله سبحانه من رمزيةٍ أرادها أن تستمر في وجدان الإنسانية بسيل من

الدمع والحزن على الفجيعة... فهذا لا يلزم منه بالضرورة أن يُلغي الوجه الذي حافظ على كل عناصر القوة والعزم، والذي مثلته السيدة زينب(ع) في شخصيتها ومسؤوليتها التي تقدمت بها لتسليمها إلى كل ضمير حر في التاريخ.. عليه فإن علينا أن نحفظ ما أرساه الإمام زين العابدين عليه السلام في إقراره للحزن المفجع الجزع من جهة، وللحزن الثوري القوي المسؤول من جهة أخرى.. ليفتح بالأول كل مسالك الوجدان الإنساني المتعاطف والعاشق للحسين وقضيته...

وليرسي بالثاني إرادة تحقيق الأهداف الحسينية، والقيم الحسينية الخالدة...

٥- جعل الزمن العاشورائي زمن حزن:

إن وقوع الحادثة المفجعة في أوائل أيام عاشوراء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام باليوم العاشر من المحرم أو قبله بقليل... جعل الأئمة (ع) في وضعية استوجبت سنَّ سنةٍ خاصة بالحزن في الأيام العشرة الأولى من شهر محرَّم، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبكِ الباكون، فإن البكاء عليه يحطُّ الذنوب العظام، ثم قال عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرَّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام»(٢٠) .

وكان يُخصَّص اليوم العاشر كيوم مصيبة وبكاء... وتقام فيه جملةٌ من الالتزامات كصوم بعضٍ من اليوم .. وأن يُقدِّم الموالون العزاء بعضهم للبعض... وان يُزار الإمام الحسين عليه السلام ولو من بعيد.

إذ نقل عن الإمام الصادق عليه السلام ضرورة اجتناب الملاذ في اليوم العاشر، بحيث يتجنب الإنسان أي شراب وطعام أو ممارسة فيها لذة وتحقيق رغبة خاصة... وأن تقام سيرة وسنن المصاب، من لبس السواد، والبكاء وتلاوة السيرة، والتعازي المشتركة، .. والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول

الشمس، والتغذي بعد ذلك بما يتغذى به أصحاب المصائب من لبن وتمر وبعض المأكولات التي تضفي على المناسبة طابع المصيبة.. ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره حسب رواية عن الإمام الباقر عليه السلام ممن لا يتقيه- -أي لا يحذر منه- بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام ثم يقول الإمام الباقر عليه السلام.. وأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عز وجل... ثواب ألفي حجة وألفي عمرة، وألفي غزوة...

هنا يسأل الراوي: أنت الضامن لهم ذلك والزعيم؟ قال عليه السلام أنا الضامن والزعيم لمن فعل ذلك. قلت: وكيف يعزي بعضنا بعضاً؟

قال: تقول عظّم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره، مع وليّه والإمام المهديّ من آل محمد.

وإن استطعت أن لا تنشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تُقضى فيه حاجة مؤمن، وإن قضيت لم تبارك له فيها، ولا يرى فيها رشداً، ولا يدّخرن أحدُكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يُبارك له فيما ادّخر، ولم يُبارك في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب الله لهم ثواب ألف حجة وألف عمرة وألف غزوة مع رسول الله(ص)، وكان له كثواب كل نبي ورسول وصديق وشهيد، مات أو قتل، منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة»[٢١]. فمن الأمور التي تضمنها الخبر - بشكل مركزي- عبارة طلب الثأر بل تمنيه مع الولي.. وكلمة الولي في سياق هذا الخبر ذاهبة إلى الإمام المهدي (عج) ولما كانت الروايات متضافرة على أن الإمام المهدي(عج) عند خروجه:«سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»[٢٢] فإننا- بلا شك- نفهم منها أن الرسالة الأساسية للحجة (عج) تتمثل بدفع الظلم، وإطفاء نائرته.. وبسط سيادة الحق والعدل. مما يعني أن الثأر الذي سينجزه ليس أمرا عصبياً يقوم على إشباع رغبة الانتقام..

بل هو ثأر تضحية عالمية يبذلها الثائرون من أجل نصرة قضايا الحق والعدل وحقوق الإنسان، تلك القضايا والحقوق التي ضاعت بفعل الباطل والظلم، والتي تُركز الثقافة الإسلامية، على أن المناخ الذي هيأ للباطل والظلم الانتشار إنما تمثل بتضييع الرسالة يوم أضاع الظلمة وصايا الرسول(ص)، وانتهكوا حق أولي الأمر من بعده.. كما انتهكوا حق الناس بالعيش في كنف الرسالة ولا توجد واقعة تمثل هذا الانتهاك الظالم، الذي هُتكت فيه كل الحرمات، كواقعة الطف، إذ ذبح الباطل بسيف الغدر والعدوان، وريد الحق، بقتل الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي (ص). وهتكوا حق الطفولة، وحق الحياة، وحق العيش الكريم ؟ بقتلهم الأطفال والشباب وحفظة القرآن والدين وسبوا نساء البيت النبوي.. من هنا تحمل كلمة «الولي» ارتباطاً بكمال الأولياء «الإمام الحجة عليه السلام »... وبكل وليٍّ قائدٍ رساليٍّ في التاريخ، مستعد لبذل أغلى ما يمتلك لنصرة الحق والثورة على الظلم...

كما أن الملفت والمثير للانتباه في هذا الخبر....

١- الإصرار من الإمام عليه السلام أن تكون إقامة هذه الشعيرة بظروف لا توقع الشعيرة وأهدافها بأيِّ خطرٍ أو اضطراب لذا فإنه يقول «ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه»،(٢٣). فأن يعرف محيي الشعيرة أن الذين يلزمهم بالإحياء موافقون موالون لصاحب المناسبة. خاصة أن الوقت الذي ورد فيه الحديث كان من أشد الأوقات تنكيلاً بآل محمد (ص)، وخاصة بمن يلتزم سنة الحسين عليه السلام.

٢- أن يؤسس لعلاقة مودة اجتماعية يتضافر فيها الناس على حب الحسين عليه السلام ويقيمون آداباً وأعرافاً اجتماعية خاصة بهذه المناسبة «وليعزّ بعضهم بعضاً»(٢٤).

٣- حجم الأجر الذي تحدث عنه الإمام عليه السلام وأنه يصيب كل من يقيم هذه الشعيرة بسننها.. وفي هذا إلفات إلى حقيقة مضمون «أحيوا أمرنا رحم

الله من أحيا أمرنا». فإحياء الأمر الخاص بالنبي (ص) والآل الأطهار(ع) كان في وجه من أرادوا بالإسلام في أساس وجوده وهويته شراً.. وكانت الخطة الظالمة في تنفيذ ذلك بأن يفصلوا الرسالة عن ممثليها وحماتها... لتكون الصلاة بلا مضمون عبادي، بل مفتاحٌ لركوع وسجود في طاعة السلطان، يجتمع فيها الناس للدعاء إلى الحاكم ؟رغم ظلمه - بطول العمر وسؤدد الحكم؛ وليكون الحج والعمرة بلا هدف بحيث يكونا مجرد اجتماع طقوسي، تقدم فيه قرابين الطاعة على مذبح الجريمة، بالفتك بأشرف وأقدس الناس، كالحسين بن علي عليه السلام ثم يلبس القاتل ثوب إمارة المؤمنين، ويوصف بخادم الإسلام الأمين .. فتستنفذ الطاعات، والقربات، والعبادات، كل معانيها الروحية والإنسانية؛ لتكون مجرد أشكال توسم الظلمة بمراسيم القداسة ليكونوا وجوه التاريخ.. وصناع الحضارة، وأبطال الحقيقة (كذباً وجوراً)؛ لذا فإن إقامة فريضة إحياء الأمر، والتزام الوجود الرساليّ المرهف والمخلص في العلاقة مع الحسين عليه السلام وآل بيت النبي(ص). كان الضمان لاستمرار حفظ ذكر النبي(ص)، وبحفظه تحفظ الرسالة . وكان الدم الذي يمتلك القوة والقدرة على بث الحياة بجسد الرسالة وبصورة النبوة المحمدية، وذكر رسول الرحمة محمد(ص).. هو دم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته التي لولاها لما بقي لمحمد(ص) من ذكر ولما بقيت للصلاة معنى وللحج والعمرة معنى.

إنها شهادة الحسين عليه السلام الباعث في كل زمن معنى الحياة المتجددة بروح وجسد الرسالة، وشعائره الحسينية هي السبل الموصلة لتحقيق هذا الهدف.. لذا فلا غرابة أن يكون الحث في إقامتها يصل لدرجة أنها تحمل مثل هذا الأجر الجزيل الذي تحدث به الإمام الباقر عليه السلام...

٤- ثم إن الملفت قول الإمام إن هذا اليوم هو يوم نحس، مما يثير فينا السؤال بأيِّ معنى هو كذلك؟!.. ففي الخبر عن جعفر بن عيسى: «سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه فقال: عن صوم ابن مرجانة

تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يومٌ يتشاءم به آل محمد (ص)، ويتشاءم به أهل الإسلام(ع)»(٥٢). وفي خبر آخر عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام «من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد.

قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟

قال: النار، أعاذنا الله من النار، ومن عمل يقرب من النار»(٢٦).

وعنه عليه السلام أنه يسأله السائل نصوم يوم عاشوراء فيجيب عليه السلام: ذاك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام، فان كنت شامتاً فصم(٢٧).

ثم قال: «إن آل أمية نذروا إن قُتل الحسين عليه السلام أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم، يصومون به شكراً ويُفرِّحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنَّة إلى اليوم، فلذلك يصومونه، ويدخلون على أهليهم وعيالهم الفرح ذلك اليوم. ثم قال إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكراً للسلامة، وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أصيب به فلا تصم، وإن كنت شامتاً ممن سرَّه سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى»(٢٨).

فالصوم في هذا اليوم لم يكن قائماً، ثم جاء قرار بني أمية أن يجعلوا من يوم مقتل الإمام الحسين عليه السلام يوم عيد وفرح يصومونه كتعبير عن الشكر على سلامتهم. وقتلهم الإمام الحسين عليه السلام لذا وضع الأئمة(ع) فعل الصوم بعاشوراء كمعيار لتقييم الموقف..

فإما أن تدخل في فعل الظالمين فتفرح لفرحهم.. وإما أن تدخل في فعل المظلومين الثائرين فتحزن لحزنهم، وتعبر عن رفضك لعدوهم..

وبهذا فالفعل هو تلبُّس بموقف مصيري...

وإلا فالصوم الذي في أصله عبادة، حينما يكون صوم ظلم، فإنه سيكون صوم «ضرار» وحكمه حكم «مسجد ضرار»(٢٩) ينبغي هدمه.. والزمن إنما يحمل قدسيته من خصوصية أحداثه؛ لذا فكل زمن ظالم أو زمن معصية هو

زمن شؤم ونحوس، فكيف إن كانت فيه وقعت فاجعة كربلاء؟!...

عليه، فالشؤم في هذا اليوم، وعدم البركة فيه، إشارة وإعلان واضحٌ من قبل الأئمة(ع) لموقفهم من التهتك الذي مارسه آل أميه وزياد.. ونزعهم القداسة عن كل عمل ظالم يلبس لبوس العبادة.... ليفتضح أدعياء القداسة، وأدعياء الحق بالتحكم في حياة الرسالة والناس، ويظهرهم على طبيعتهم الفظيعة المشؤومة...

إلى هنا، تناولنا بعض الشعائر المرتبطة بقسم شعائر الحزن..والحزن خلاف السرور ليتأسس على ضوء الاطلاع عليها كونها شعائر بناء شخصية الموالي.. فالولاء إنما يكون بوجدان يحب في الله ويعادي في الله.. وإذا كان الحب هو الذي يبث في القلب السرور، فإن ألم العداء بسبب عدوان المتعدي الظالم هو الذي يبث في القلب الرحيم المحب؛ الحزن...

إنّه حزنٌ على أم المصائب.. وحزنٌ على هتك حرمة الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل وحزنٌ على غدر الناس وتناسيهم ذكر الله الذي استوجب دخولهم في كل الموبقات. إنّه الحزن الذي يؤسس لتجديد العلاقة مع الله ورسوله وأولي الأمر، يؤكده الموالي بنهضة روحية ومعنوية تحوِّل الزمان إلى زمن حزن، طالما أن الظلم هو الحاكم، والمكان إلى أرض حزنه طالما أن الله يعصى فيها.. وتتحول النفس إلى مستودع أسرار تجيش[٣٠] بطلب الوصال مع الحق، والثأر من الباطل ... وكل ذلك على أسس من القيم التي أرساها أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن أبيه وأمه عليها السلام، عن جده رسول الله محمد (ص) وأورثها أبناءه لتصل إلى يوم الاكتمال الذي فيه يكون الحزن سروراً على يد الحجة(عج). فأي إخلال بأصل استمرار الشعيرة وإحياء ما يتناسب معها من مراسم... هو إخلال بأصل فريضة إحياء أمر النبي(ص) والآل الأطهار (ع).

من هنا، فإننا عندما نواجه دخول بعض المراسم المعبِّرة عن الحزن المفجع.. فإن من غير المبرر لنا رفضها لأنها جديدة... إذ ورود هذه المراسم،

ليس من باب كونها شعيرةً او شعائر، بل هي من باب كونها مراسم لإحياء وتجديد الحياة والمعنى في صورة تلك الشعائر.. ففي الوقت الذي لا يصح جعل المراسم شعائر، فإنه لا يصح رفضها وممارسة العقلية والذهنية «التسلفية» في التعاطي معها.. فإن فكرة الإحياء هي الميزة التي احتضنها آل البيت(ع) في تعاليمهم وسلوكهم الديني الذي حفظوا فيه جذور وأصول الذكر والقيم والتعاليم الإسلامية... وفتحوا لها القابلية على الاستمرار التأصيلي رغم كل المتغيرات القابلة للتغير بفعل الزمان والمكان والظروف المتجددة.

لكن علينا تقييم الأمر بلحاظ بعدين:

البعد الأول: حفظ استمرار روح ومعنى إحياء أمر الدين بإحياء الشعائر ودفعها نحو الانتشار وقوة التأثير..

البعد الثاني: أن لا توجب هتكاً لحرمة الأحكام الشرعية، وأن لا توجب توهيناً[٣١] لمقاصد الشعائر الحسينية..

وهذا النقاش أكثر ما يدور اليوم بما له علاقة بمسألة التطبير[٣٢].

بعد ما أوردناه بخصوص هذا الصنف من الشعائر الحزينة، يمكن القول إنه بتحضير الأرضية النفسية والبناء الروحي لطلب التغيير في أركان وعناوين الظلم، وتركيز مناخ الرغبة والتطلع نحو إقامة قيم الحق والعدل، فإن رحلة النهوض الحسيني تتحرك بالأنفس نحو طلب لقاء الحسين عليه السلام بالشهادة. كما تتحرك الأجساد لتؤكد هذه الرحلة الروحية.. بقصد كربلاء، كأرض تحتضن الشعائر الخاصة بالمكان الذي وقعت فيه الواقعة، وتشرفت باحتضان جسد إمام الشهادة الإسلامية الكبرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن معه من أهل بيته، والأصحاب.. لتكون الزيارة تأكيداً لعهد الولاء وإحياءً للدين في قيمه.. ورموزه..

-II-

شعائر تكوين الهوية الجمعية

وهي الشعائر الخاصة بزيارة المكان، باعتباره معلماً من معالم إحياء الأمر الإلهي لآل محمد (ص)، والذي ضم الجسد الطاهر لأبي عبد الله الحسين عليه السلام وآله وأصحابه الأبرار.. والمكان المقصود بالزيارة هو كربلاء والعتبات المقدسة...

وقد ورد في قدسية هذه الأرض عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله: «اتخذ الله أرض كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرما بأربعة و عشرين ألف عام و إنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون أو قال أولو العزم من الرسل فإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعا وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة»[٣٣].

وفي حديث يتناول موضع دفن الإمام الحسين عليه السلام وهو «الحائر»[٣٤] ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «موضع قبر الحسين بن علي عليه السلام منذ يوم دفن فيه روضةٌ من رياض الجنة، وقال: موضع قبر الحسين عليه السلام ترعه من ترُع الجنة»[٣٥].

وعنه عليه السلام: «إن لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمةً معلومة، من عرفها واستجار بها أجير.. وموضع قبره منذ يوم دفن روضةٌ من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبي في السموات. إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوجٌ ينزل وفوجٌ يعرج»[٣٦].

وفي خبر عن أبي هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن

محمد عليه السلام، وهو محموم عليل فقال لي: يا أبا هاشم ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي، فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال.. فأعلمته ما قال لي، وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة ولكنني أقول: إنه أفضل من الحائر إذ كان بمنزلة من في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر!

فأعلمته عليه السلام ما قال، فقال لي: قل له، كان رسول الله (ص) أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإن لله تعالى بقاعاً يحبُّ أن يُدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحائر منها»(٣٧).

لقد أبرزت هذه الروايات الشريفة جملة من المواصفات الخاصة بقدسية أرض كربلاء منها:

١- أنها حرمٌ آمن مبارك...

٢- أنها الروضة الأفضل في رياض الجنة.

٣- أفضل مسكن في الجنة وهو خاص بالأنبياء والمرسلين.

٤- تزهر بين رياض الجنة، ويغشي نورها أبصار أهل الجنة.

٥- أرض الله المقدسة الطيبة المباركة.

٦- تضمنت سيد شهداء أهل الجنة(ع)..

٧- ترعة من ترع الجنة.

٨- لها حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير...

٩- موضع لزيارة الأنبياء، ومنها عروج أعمال الزوار الذين يوسمون بسمة خاصة يعرفون بها يوم القيامة.

١٠- موضعُ أرضٍ اختصها الله سبحانه بفضل استجابة الدعاء.

وهذه المواصفات تضفي على كربلاء طابع القدسية الغيبية، وكأنها عتبة الدخول في عالم الغيب وعالم الرضوان الإلهي.. حيث يصل إليه الزائر ليفصل بين عالمين.. الأول هو عالم الدنيا بما فيها من تزاحم ومظلمات وظلمات..

والآخر هو عالم الآخرة بما فيه من صدق نبوة الأنبياء والمرسلين، وحب الملائكة الهائمين بالله سبحانه، ونعيم عيش في رياض الجنة، وقرب مورد لاستجابة دعاء العباد..

وكل ذلك بفضل ما تضمه تلك الأرض من بركة تشرفها بجسد الإمام الحسين عليه السلام وتحويم روحه التي تمثل سر الولاية والشهادة والرحمة واللطف الشافع المشفَّع الذي اختصه الله سبحانه وتعالى به...

بحيث يكون نفس عملية الانتقال من مكان إقامة الإنسان الزائر إلى أرض كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام. ونفس قصد المكان والوصول إليه شعيرة من الشعائر التي عدَّها البعض من الفرائض كما ذهب إلى ذلك المجلسي الأول الذي اعتبر أنه يظهر من الأخبار الكثيرة وجوب زيارته عليه السلام ولهذا قال به جماعة من أصحابنا... ولو مرةً في العمر... واستفادوا ذلك من ما يلزم من ترك الزيارة عنوان الجفاء،... وهو مخالف لمودة رسول الله(ص) ﴿**قُلْ لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٣٨).

لكن الرأي مجمع اليوم على أن الزيارة من موارد الاستحباب المؤكد الذي يلزم من تركه فقدان الخير الإلهي الجزيل... إلى درجة أن الحث على الزيارة كل يوم ولو من بعيد، ومن ذلك ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام يا سدير، تزور الحسين عليه السلام في كل يوم؟..

قلت: جعلت فداك لا.

قال عليه السلام: فما أجفاك .. فتزورونه كل شهر؟

قلت: لا..

قال عليه السلام: فتزورونه كل سنة؟

قلت: قد يكون ذلك..

قال عليه السلام: يا سدير، ما أجفاكم للحسين عليه السلام، أما علمت أن لله عز وجل ألفي ملك شعثاً غبراً يبكونه، ويزورونه، ولا يفترون، وما عليك يا سدير أن تزور

قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات، أو في كل يوم مرة؟

قلت: جعلت فداك بيننا وبينه فراسخ كثيرة.

قال عليه السلام: اصعد فوق سطحك ثم التفت يمنةً ويسرةً، ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تنحو نحو القبر، وتكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة»(٣٩).

ومما يتعلق بتأكيد قدسية الشعيرة المكانية الخاصة بكربلاء .. تلك الخصائص المرتبطة بتربة الإمام الحسين عليه السلام الكربلائية.

فعن أبي يعفور قال: « قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به، ويأخذ غيره فلا ينتفع به؟

فقال عليه السلام: لا والله الذي لا إله إلا هو.. ما يأخذه أحدٌ وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه الله به»(٤٠).

وعنه عليه السلام: «من أصابته علةٌ فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة إلا أن تكون علة السَّام (الموت)»(٤١) وعنه عليه السلام: «لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حقَّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحرمته وولايته أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة كان له دواء»(٤٢).

فخصائص هذه التربة ارتبطت بالمعرفة واليقين بمرتبة وحق ودرجة وفضل الإمام الحسين عليه السلام وما أولى الله تلك التربة بفضله، بحيث إنها تدخل في سنن قدر الاستشفاء إلا أنها لا تلغي قضاء الموت..

لذا كان من سنن وشعائر التعامل مع هذه التربة الشريفة:

١- **السجود عليها**: فإن الوارد في السجود على تربة الحسين عليه السلام أنها تضيء سبل القربى إلى الله سبحانه.

٢- **أن يعمل منها سبحة للذكر**: فإن في التسبيح بسبحة من تربة الإمام الحسين عليه السلام الأجر الدائم والمضاعف.

٣- **أن يخلط بها العسل للاستشفاء**:

ومن ذلك ما ورد عن بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، في مال وصل إليه

ولا يدري ما يصنع به فقال له عليه السلام «اشتر به عسلاً وزعفران وخذ من طين قبر الحسين عليه السلام، واعجنه بماء السماء، واجعل فيه من العسل والزعفران، وفرّقه على الشيعة ليداووا به مرضاهم»(٤٣).

أو أنه كان يمزج مع الشراب ويستخدم للاستشفاء...

٤- أن يحنّك(٤٤) به الأطفال.. فعن الحسين بن أبي العلاء قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حنكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام فإنه أمان»(٤٥)؛ وذلك بتمرير شيء من التربة حول حنك الولد..

يبقى أن الملفت في الروايات الخاصّة بتربة الحسين عليه السلام إبراز أنها أمانٌ من الخوف، من السلاطين وحكام الجور..

فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام «فإن فيها شفاء من كل داءٍ، والأمن من كل خوف، وقل إذا أخذته:«اللهم إني أسألك بحقّ هذه الطينة، وبحقّ الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحقّ الوصيّ الذي حلَّ فيها، صلّ على محمدٍ وأهل بيته، واجعل لي فيها شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف»(٤٦).

وهناك أدعية أخرى واردة بهذا الشأن.

لكن على أي حال، فإنه من مجموع ما روي بحقّ المكان، وتربته المطهرة، يظهر أن العلاقة في الشعائر المكانية، تنظر إلى المكان ومادته وتربته كأفقٍ ومدىً معنوي يرتبط فيه المرء بذاكرة تاريخية، تحث على تثبيت العلاقة مع الإمام الحسين عليه السلام وآبائه(ع).. كما تحث على النظر إلى الأرض الخاصة بما هي محط تنزل الملائكة الذين يذكرون الله سبحانه، ويزورون الإمام الحسين عليه السلام كما يزوره الأنبياء(ع)، من مقاماتهم المعنوية في عالم الأرواح، حتى يُصبح الموالي الزائر في وضع ذهني وروحي يؤهله الالتحاق بهذه القدسية العظيمة في مسيرة الكدح نحو الله سبحانه مما يخلق في رؤية الزائر وضوحاً في هوية الانتماء الديني المفتوح على عبادة الله سبحانه.. وقوة في شكيمة نفس تأبى الضيم، ولا تخشى السلطان بعد أن تحصنت بعناصر من اللجوء إلى

مُقدَّس تؤمن به، تلازمه ويلازمها، ولو كان عنوانه حفظ بعضٍ من طين كربلاء ... قد يجعله في خاتم يلبسه ويختم عليه بالفضة، ليلازم حركته وحضوره النفسي المنسجم مع ولائه لأبي عبد الله عليه السلام.. والذي كان قد أسَّس له قبل الزيارة بمناخات من الوجد الأليم الذي عايش فيه المصاب بأبي عبد الله بالبكاء والنواح، كل مثيرات الحزن الدفين في النفس والذاكرة الدينية والتاريخية، والذي ينطلق لإحداث التغيير في النفس بصورة شبه فردية، تتلاقى مع جماعته الخاصة، لتتفاقم ولتصل في زيارة الإمام الحسين عليه السلام إلى صورة جامعة على أصول من القناعة المبدئية، والوجدان الإيماني الذي يجعل من الألم استنارةً في تشخيص الواقع بأصول الحق والعدل رغم ما فيه وما يحفه من قواعد للظلم والشر، بحيث يتحول اللقاء على الحق، والنبذ النفسي للباطل، أو إن شئت فقل لعن الباطل، إلى تحفز حقيقي للنهضة والقيام والثورة...

ولهذا كان الأمر بالزيارة «إحياءً للأمر»....

يبدأ بحياة القلوب والنفوس: «فمع الحث على استحباب السجود على تربة كربلاء، ورد أن السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرض السابعة، ومن كان عنده سبحةٌ من طين الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح»(٤٧)؛ لأنها حسب الروايات الواردة في كامل الزيارات تربة الخضوع والخشوع والاستكانة لله، وقد خضعت وذلت وأقرت لله تعالى بالعبودية...أنها طيبة طاهرة مصفاة من جميع الأكدار...

وذلك لما خالطها وسرى فيها من نور أبي عبد الله الحسين عليه السلام.. وأي عمل يمارس على تلك الأرض وأي صلة مع تلك التربة، فإنها تمثل علامةً لأسباب قدسيتها، وارتباطاً وتعبداً واجتهاداً في التواصل مع أصول تلك القدسية الولائية لله ورسوله والأئمة الأطهار(ع)...

هذا من جهة البناء الروحي للشعائر المكانية..

أما من جهة البناء الانتمائي الذي يمثل الهوية الجمعية للولاء.. فلما ورد من حث الأئمة(ع) على التلاقي عند كربلاء رغم كل ما يمكن أن يعترض الزائر من مخاطر ومصاعب.. ولم يكتف الأئمة (ع) بمجرد الدعوة والحث على الزيارة بل هم قد مارسوا الزيارة بأنفسهم «وأقدم ما نعرف من ذلك هو فعل الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كان يقدم من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبيه، وقد شاهده بعض شيعة أهل البيت في مسجد الكوفة، ولمّا تعجب من وجوده، وقال له :«ما أقدمك بلاداً قتل فيها أبوك»؟

أجابه عليه السلام: زرت أبي وصليت في هذا المسجد.

ويبدو من سؤال السائل أنه فوجىء بوجود الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وهذا يوحي بأن الزيارة لم تكن قد شاعت بعد، وغدت أمراً مألوفاً[٤٨].

أما بالنسبة للحث على الزيارة، وتحدي كل الظروف فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في جوابه لزرارة عن رأيه عليه السلام في زيارة قبر الحسين عليه السلام على خوف.. يجيب الإمام عليه السلام:

«يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك»[٤٩].

وتوضح رواية معاوية بن وهب منطلقات الزيارة والأهداف التي تحملها، إذ ينقل ابن وهب أنه استأذن الدخول على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فأذن له فوجده في مصلاه يصلي فلما فرغ سمعه يناجي ربه وهو يقول عليه السلام: «اللهمَّ يا من خصَّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصَّنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً داخلوه على نبيّك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافئهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلق على أهاليهم وأولادهم، الذي خلقوا

بأحسن الخلق وأصحبهم، واكفهم شرَّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشرَّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهمَّ إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً لهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيَّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا.. اللهم إني استودعك تلك الأبدان، وتلك الأنفس حتى ترويهم على الحوض يوم العطش الأكبر»[٥٠].

فمنطلقات وأهداف زيارة الزائرين يمكن تمثلها من هذا الخبر الذي روى مناجاة ودعاء الإمام الصادق عليه السلام بالأمور التالية:

١- إن الزيارة تنطلق من الرغبة في بر آل بيت محمد (ص)، وهو مقتضى حق النبي بمودة قرباه(ص).

٢- إنها صلة ترجو ما عند الله من فضل.

٣- إدخال السرور على قلب رسول الله(ص).

٤- استجابة لنداء الإحياء لأمر الدين الذي عممه الأئمة الأطهار (ع)، بين شيعتهم ومواليهم.

٥- تحطيم قرارات أعداء الحقّ، الذي يمثله الأئمة (ع).. من الذين أرادوا منع الناس عن الزيارة. كمقدمة رمزية لفك العلاقة بين الناس وخط الأئمة الأطهار(ع).

٦- ما يحدو الزائر في إقامة الشعائر المكانية قصد التقرب إلى الله وتحقيق رضاه سبحانه.

٧- تأكيد على عهد الولاء بأن يؤثر الزائر الصلة والتقرب والحب لآل النبي(ص) على أخص صلاته كصلته بأبنائه وأهله وأقاربه.

٨- تنطلق زيارة الزائر من منطلق نفسي وجداني تسوده الرحمة لآل محمد (ص).. والجزع عليهم.

واحتراق القلوب عليهم (ع) وبث «الصرخة التي كانت لنا»[٥١]، والصرخة قد تبدأ بمناداة «يا حسين»، لكنها تستمر لتكون شعاراً للنهوض، وناراً ملتهبة تريد أن تحرق كل أسفافٍ مورس بحق الدين، ومن يمثل والأهداف الرسالية التي تشكل أسباب الهداية الإلهية، وإقامة أركان العدل بين الناس.

ولعل من أبرز ما في هذه المناجاة.. الروحية التي دعا فيها الإمام عليه السلام ربه.. أنها تبرز روحية الذي يتحسَّس كل نبضةٍ من نبضات مواليه فيحملها بما لديه من رتبةٍ القربى من الله ورسوله إلى الله ورسوله.. داعياً لهم الله أن يرحمهم في مسير العروج الروحي والثوري إليه..

وأن يتلقاهم وديعةً؛ من أقدس الناس؛ من الإمام الصادق عليه السلام؛ ليسقيهم من كأس محمد (ص) الأوفى، ومن معين الحوض يوم العطش الأكبر.. والحوض هو مستقر لقاء فيض القرآن وفيض آل النبي (ص) الذي به يتماهى كل صادق مخلص في ولايته وشهادته، ومثل هذه المناجاة كفيلة بمراعاتها، أن تفتح عقل وروح الزائر على مصدر الرسالة، . وعلى قيم الزيارة ومعناها الحقيقي. فالزيارة هنا ليست سياحة سفرٍ عابر يراد منها تغيير الأجواء.. وليست طقوساً جامدةً لا تحفل إلى العناء والتعب، وليست مبررات ووقود فتنةٍ بين جماعة المسلمين.. وليست مسوّغاً من مسوغات الرضوخ لحاكم، أو لمؤسسة تفتك بالإنسان تحت يافطة القداسة.

إنها الحياة النابضة بالتفاعل بين الإسلام وأتباعه.. إنها العهد المتجدِّد بين النبي (ص) والأئمة (ع) من جهة، وبين من يوالونهم من جهةٍ ثانية..

عليه، فإن الزيارة تحمل مشروعيتها من مشروعية أهدافها، ومن مشروعية مسلك الإحياء فيها، ومن مشروعية الأمر والحث، الذي أكده الأئمة (ع) عليها...

مشروعيــة الزيــارة:

لا خلاف بين المسلمين في جواز الزيارة ومشروعيتها.. وقد تحدثت مصادر أهل السنة في زيارة قبر النبي (ص) وأنها من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات أحياناً..

أما الشيعة، «فمن المعلوم أن الشيعة الإمامية ذهبوا إلى استحباب زيارة قبر النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) وقبور الصالحين وعبادة الله عندها بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم والسلام عليهم، والدعاء لهم، بل اعتبروا ذلك من شعائر الله، وأنه من تقوى القلوب ثبت ذلك عندهم بالنسبة القطعية، والإجماع القطعي، لا خلاف في ذلك بينهم»[٥٢].

وقد خصّصت زيارة الإمام الحسين عليه السلام بشكل استثنائي؛ بحيث إن من يقرأ ما قيل فيها من الأئمة ليصل ليحكم أن في زيارته عليه السلام تأكيداً لكل عهد وولاء ولكل نبي ووصيّ وإمام .. بل إن بعض تلك الروايات تشير إلى مستويين من التعاطي مع زيارته عليه السلام...

المستوى الأول: وهو المستوى العام الذي فيه إمضاءٌ من الأئمة بصحة الكثير من مراسم إحياء شعيرة زيارة كربلاء؛ ومن ذلك ما رواه عبد الله بن حماد البصري.. إذ قال له الإمام الصادق عليه السلام «بلغني أن قوماً يأتوه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساءً يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل المراثي...

فقلت: نعم، جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف.

فقال عليه السلام : الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا، ويقبحون ما يصنعون»[٥٣].

وهذا فضلاً عن أنه يمثل إقراراً واضحاً بمشروعية ما يمارسه الزائرون في كربلاء منذ عهد الإمام الصادق عليه السلام، فإنه يفتح الباب واسعاً أمام ممارسة المراسم التي تحقق هدفين اثنين: ذكر وإحياء ذكر آل

محمد(ص)،كما يرتضون والأمر الثاني أن تتحول تلك المراسم إلى نذير يزعج ويهدد الظلمة ممن يريدون إماتة الأمر الذي صدع به رسول الله(ص).

المستوى الثاني: لو أن شخصاً لم ينسجم مع كثير مما يحصل في المناخ العام أثناء الزيارة، فهذا لا ينبغي أن يردعه عن أصل الزيارة، وإيجاد سبل تواصل بعهده مع الإمام الحسين عليه السلام؛ بشكل يتلاءم والوضعية النفسية والروحية، ونسبة الوعي عند خصوص هذا الزائر..

ومن ذلك؛ ما رواه أحد الشيعة من سؤاله للإمام الكاظم عليه السلام إذ يقول: «دخلت عليه، فقلت له: جعلت فداك، إن الحسين عليه السلام قد زاره من الناس من يعرف هذا الأمر ومن ينكره، وركبت إليه النساء، ووقع حال الشهرة، وقد انقبضت منه لما رأيت من الشهرة قال فمكث ملياً لا يجيبني، ثم أقبل عليَّ فقال عليه السلام: يا عراقي إن شهروا أنفسهم فلا تشهر نفسك أنت، فوالله ما أتى الحسين آت عارفاً بحقه إلا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»(٥٤).

إذاً، ورغم كل شيء تبقى المسألة الأساس في الزيارة هي هذه المعرفة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام.. بموقعه عند الله سبحانه..

وبحقه في قيادة العالم .. وبأحقية وحقانية أهدافه التي استشهد في سبيلها..

أما بالنسبة إلى كيفية الزيارة، فلقد ورد في خصوصها أن تكون على الشكل التالي:

١- ما روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا زرت أبا عبد الله الحسين عليه السلام فزره وأنت حزين، مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان، فإن الحسين عليه السلام قتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً جائعاً عطشاناً، واسأله الحوائج، وانصرف عنه، ولا تتخذه وطناً»(٥٥).

فالمواصفات النفسية التي تتمثل حالة الزائر قبل شهادته، على الزائر أن يستحضرها ويجتهد في ذلك، .. ليعيش معه أفق أحاسيسه الإنسانية المؤثرة في صياغة وجدانه الإيماني..

٢- عن الثقة الجليل محمد بن مسلم عن الإمام محمد الباقر عليه السلام وهو يشرح ما يلزم الزائر لكربلاء؛ إذ يقول عليه السلام يلزمك حسن الصحبة لمن يصحبك، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير، ويلزمك كثرة ذلك الله..

ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة، والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التحفظ عمّا لا ينبغي لك، ويلزمك أن تغضَّ بصرك، ويلزمك أن تعود على أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عمَّا نهيت عنه، وترك الخصومة، وكثرة الإيمان، والجدال الذي فيه الإيمان»[٥٦].

وهذا يكشف عن الآداب السلوكية المرجوة أثناء الزيارة بحيث يزداد ارتباط الزائر بالسّنن والتخلقات الدينية والشرعية، وينفصل عن إثارة كل مناخ يبعده عن الانصباب الكلي نحو ما هو عليه من زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٣- الاغتسال بماء الفرات لما ورد عن الإمام الصادق قال: «من اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفراً من الذنوب»[٥٧].

٤- إذا بلغ قبر الإمام الحسين عليه السلام أن يسلم بجملة من السلامات التي وردت في الأخبار فإن له حسب الإمام الصادق عليه السلام بكل كلمة منها رحمة من الله...

ثم يمضي إلى قبر الإمام الحسين حتى إذا وصله مسحه بيده وقال: «السلام عليك يا حجة الله في أرضه وسمائه»[٥٨].

فإن له بكل خطوة يخطوها أجر المتشحط[٥٩] بدمه في سبيل الله.

وهكذا فإن المضمون النفسي الذي تبعثه هذه الأخبار في كيفية الوصول إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام وفي الثواب المترتب عليها، يضع فكرة الشهادة كهدف شخصي يتصاحب ورغبة التقرب إلى الإمام المعصوم، ويترسخ هذا الأمر في نفس الزائر والسلوك المنتظم الذي ترسمه تلك الأخبار المأثورة..

٥- تأدية الصلوات المفروضة والمستحبة عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، إذ الصلاة عنده عليه السلام مقبولة..

والإشارة إلى مقبولية الصلاة عند الإمام الحسين عليه السلام يتواصل مع الوارد عن رسول الله (ص) ان «من صلى لله سبحانه ركعتين مقبولتين، وجب له على الله الجنة»(٦٠)؛ مما يفتح أفق العبادة والشعيرة المكانية عند الإمام الحسين عليه السلام متصلة بغاية العبادة اليومية التي يؤديها المصلي، لتتلاقى روح الزائر، مع روح العبادة لله سبحانه، فتصل في رؤية الزائر العبادية الى ابتغاء نيل كمال العبادة.. ولا يخفى ما لهذا الكمال العبادي من تغيير في الأفق النفسي للإنسان يدفعه نحو النهوض في تطوير شخصيته الإيمانية، التي تؤهله لتأدية النهوض الرسالي، الذي عليه أن يواكبه بثبات الإخلاص والإيثار وصدق النية التي ترتسم، في نهج الإمام الحسين عليه السلام بأهدافه وقيامه الثوري..

٦-الدعاء وطلب الحوائج، فإن الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من كان له إلى الله حاجة، فليقف عند رأس الحسين عليه السلام ويقول:

يا أبا عبد الله أشهد أنك تشهد مقامي، وتسمع كلامي، وأنك حيٌّ عند ربك ترزق، فاسأل ربَّك وربي في قضاء حوائجي»(٦١).

وهنا تكون التجربة بذروة عرضها على موازين الصدقية.. إذ إن الشاهد، هنا، هو نفس الزائر، ومن يشهد أمامه هو نفسه فهل يمكن له أن يكذب على نفسه؟!

والشاهد قبل نفسه هو الله سبحانه، فهل هو بصدد أن يخادع الله ويتحمل وزر ذلك؟! والله هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور...

فحينما يقول: أشهد أنك تشهد مقامي، فهذا إقرارٌ منه بإيمانه بكل ما ورد من لطف حضور نعمة تقصي بركة الإمام الحسين لزواره، ومشاهدته لهم، وتمييزه إياهم.

وحينما يقول: وتسمع كلامي.. فهذا يعني الإقرار بأن الإمام الحسين عليه السلام يتمتع بالحياة التي تسمح له بأن يسمع، كما تسمح له بأن يرى..

لذا، فإنه يعود ليؤكد قائلاً : «وإنك حي عند ربك ترزق»(٦٢)؛ وهذا يستبطن الإقرار بقول الله سبحانه:﴿أن الذين قتلوا في سبيل الله ليسوا بأموات بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ◆ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٦٣).

وإقرار بصدق قضية الإمام الحسين عليه السلام، وأنه كان صاحب حياة خالدة لا تفنى؛ لأنه الشهيد بل سيد شباب وشهداء أهل الجنة..

فالامتحان هنا يتمثل بأن هذه الشهادة، وهذا الإقرار هل هو صادق نابع من عمق الإيمان بالمبدأ الرسالي والقضية النهضوية التي استشهد على طريق تحقيقها الإمام الحسين عليه السلام ؟أم أنه كاذب، ينمّ عن ازدواجية تفصل بين ما يلهج به اللسان وما يتضمنه الجنان؟

أم أنه مجرد لقلقة في العبارات لا تخرج عن كونها مجرد طقوس جامدة بلا حياة؟!.

هنا الامتحان الكبير.. والذي بموجبه تترتب الآثار المعنوية التي ستنعكس في صياغة العلاقة، بين الزائر؛ وبين غاية الزيارة وكل شعيرة، وعبادة؛ وهو الله سبحانه.. الذي حينما يقول الزائر...

«فاسأل الله ربَّك وربي في قضاء حوائجي»؛ فإنه يؤسس ويرسّخ الأمور التالية:

أ- يؤكد أن أصل الرابط بالإمام الحسين عليه السلام ومبتغاه هو الله سبحانه، وأنه إنما ينطلق للإمام الحسين عليه السلام ليتقرب إلى الله؛ لأنه الباب الذي أذن الله سبحانه أن يولج للوصول إليه سبحانه..

ب- أن قاضي الحوائج فعلاً هو الله سبحانه.

ت- أن يُقدّم الإمام الحسين عليه السلام بين يدي الله وطلب الحوائج من الله حينما يقول فاسأل الله ربَّك، وربي فلقد أشار إلى كلمة (ربَّك) قبل أن يقول (ربي) لعلمه خصوصية قرب الإمام الحسين عليه السلام الاستثنائية من الله

سبحانه، والتي اختصها بكلمة رب بكل ما تعنيه من تدبير شؤون العباد، ليرجو الزائر الداعي أن تشمله هذه العناية الإلهية بتدبير شؤونه تحت ظل الربوبية الإلهية بشفاعة الإمام الحسين عليه السلام.

٧- التصرف بطريقة تثير عناوين العلاقة بالإمام الحسين عليه السلام.

ومن ذلك أن الزائر إذا أراد الخروج من الروضة المقدسة فعليه، أن ينكب على الضريح ويقبله، ويسلم على صاحبه بمثل القول:

«السلام عليك يا مولاي.. السلام عليك يا حجة الله.. السلام عليك يا صفوة الله.. السلام عليك يا خالصة الله.. السلام عليك يا قتيل الظمأ.. السلام عليك يا غريب الغرباء.. السلام عليك سلام مودع لا سئم، ولا قال. فإن أمضي فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن، بما وعد الله الصابرين.. لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك ورزقني الله العود إلى مشهدك، والمقام بفنائك.. والقيام في حرمك.. وإياه اسأل أن يسعدني بكم، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة»(٦٤).

وهذا التصرف المودّع بحرقة الذي يبكي، ويقلب خدّيه على القبر الشريف.. ويتقوّل أقوالاً تكشف عن الوعي والمعرفة بصاحب المقام الشريف .. وهذه الحرقة الكاشفة عمّا تركته زيارة المكان المقدس، وما أقيم فيه من أعمال عبادته تبعث عند الزائر في لحظات الوداع..

أولاً: تأكيد روابط الحب للإمام، والثقة بالله، ونصرة لقضية المستضعفين السائرين على نهج الإمام عليه السلام...

ثانياً: الأمل بتجديد دائم لعهد الولاء واللقاء بين الزائر وبين من يزور..

ثالثاً: النزوع الإيماني نحو الله، طلباً لسعادة الدارين، وأن يمنّ الله سبحانه بالرضا على الزائر ببركة الإمام الحسين عليه السلام.

هنا، وقبل أن نختم باب كيفية الزيارة فلا يسعنا إلا الإشارة إلى وجود جملة من صنوف الزيارات والأدعية والأعمال المخصوصة بزيارة الإمام

الحسين عليه السلام، وهي واردة ومحفوظة في الكتب الخاصة بالأدعية والزيارات.

كما علينا الإشارة أن الشعائر المكانية، وإن أمكن القيام بها في أيّ وقت.. إلا أن الاستحباب المؤكد، رَبَطَ بين المكان والزمان المخصوص في الشعائر المكانية.. ومن هذه الأزمنة العاشر من المحرم.. والأربعون.. وزيارة الأول من رجب.. وزيارة نصف رجب، ونصف شعبان.. والزيارة في ليالي القدر.. وزيارة يوم عرفة..

بل علينا التأكيد، أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ارتبطت أيضاً بزيارة أهله والأصحاب الذين استشهدوا بين يديه، فشملتهم بذلك الرحمة الإلهية الواسعة..

بحيث إن صفة العباس عليه السلام صارت «قاضي الحوائج» وهذا الارتباط يحيي في الذاكرة كل شجون المصاب وكل صور البطولات، وكل رباط الولاء بين الإمام والمأموم.. فيجعل من الماضي لحظة عيش تفيض على الحاضر زخم النهوض، وتتجه نحو رجاء بناء المستقبل المشرق بنور الله سبحانه، ونور محمد (ص) وآله الأطهار...

-III-

الشعائر الإبلاغية الحسينية

هي تلك الشعائر التي يراد منها نشر تعاليم وقيم النهضة الحسينية في الناس، وبين الأمم، لمواجهة قوى الظلم والجبروت، والعمل الجهادي لنقل المجتمعات من الجاهلية في قيمها وحياتها السياسية، إلى الإسلام في قيم الحق والقسط والعدل، التي يريد أن ينشرها لتعم الأرض والحياة..

ونحن بعد أن تحدثنا حول دور الشعائر المثيرة للحزن، والتي تشتغل على تغيير ما بنفوس أفراد الناس، ليصبحوا مؤهلين بوجدانهم الإنساني والديني على تقبل قيم النهضة الحسينية..

ثم وبعد أن تناولنا الشعائر التي توحّد بين جماعة الموالين لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، ضمن إطار جغرافي واحد، هو كربلاء، من أجل أن يمارسوا أعمالا شعائرية خاصة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والشهداء الذين كانوا معه في كربلاء .. أعمالاً وشعائر تخلق سماتٍ جماعية في الهوية والعقلية والعواطف الجمعية للموالين لأبي عبدالله الحسين عليه السلام، وجده رسول الله محمد (ص)، وأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمه سيدة نساء العالمين (ع)، وأخيه الإمام الحسن عليه السلام، وذريته التسعة المعصومين(ع) الذين قد خُتِموا بقائم آل محمد (ص)؛ الموعود الحجة المهدي (عج)..

فإن مثل هذا التغيير الفردي لما بالأنفس، والتشكل الجماعي لهوية الولاء المستمرة مادام الزمان، يقتضي العمل بموجبها على فريضة «إحياء الأمر» بين الناس، والتي تتمثل بشعيرة الإبلاغ الحسيني..

وهنا علينا أن نعرف... أن في أساليب العمل وإيصال رسالة الله سبحانه إلى الناس، هناك ما هو خاص بنفس المجتمعات المؤمنة أساساً بالله وبرسالة الإسلام، وهؤلاء تطبق بينهم فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر..

وذلك لردع أي انحراف قد يقع فيه المجتمع الإسلامي، أو لتقويم أي اعوجاج يصيبه،.. مما نراه بوضوح مع الإمام الحسين عليه السلام حينما أراد العمل في أوساط أهل الكوفة، وفي أوساط أهل المدينة وغيرهما من الأقطار الإسلامية فقد أعلن بوضوح «إنما أريد الإصلاح في أمة جدي،... أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر..»[٦٥].

لكن هناك مجتمعات لم تهتد أساساً بهدي الإسلام، بل لم تعرفه.. فإن لهذه المجتمعات حكماً في التعاطي معها؛ يقوم على الإبلاغ والتبليغ، وعرض الدين والمعتقد... وقد تحدث القرآن الكريم حول هذا الدور الرسالي للتبليغ؛.. بما سنستفيد منه في دراسة شعيرة الإبلاغ الحسيني...

وهكذا فإن نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لما كانت تحمل كل خصوصيات روح النهج الإسلامي، ومضامين أحكامه ومقاصده وأهدافه.. ولما بات الناس يعيشون غربة حقيقية عن الإسلام... كان لا بد من «بلاغ».. ولما كانت النهضة الحسينية تحمل في عمقها قدرةً وطاقة على البلوغ في الإبلاغ إلى عمق الوجدان الإنساني لتحرك فيه كل مكامن الوجد والأمل... كان لابد من «بلاغ حسيني». وهذا ما اختطه الأئمة الأطهار (ع) في إرشادهم الدائم لحفظ إحياء الشعائر الحسينية، ونقلها إلى كل دولة، وإمارة، ومدينة، وقرية، وبيت... عبر شعائر البلاغ الحسيني .. والبلاغ والبلوغ في الأمر، كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني، هو «الانتهاء إلى أقصى المقصد، والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدَّرة... وربما يُعبَّر به، المشارفة عليهن وإن لم ينتهِ إليه...

والبلاغ، التبليغ نحو قوله تعالى﴿هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ﴾[٦٦]،﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[٦٧]؛ والبلاغ، الكفاية، نحو قوله تعالى﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[٦٨] ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٦٩]؛ أي إن لم تبلغ هذا أو شيئاً مما حملت، تكن في حكم من لم يُبلِّغ شيئاً من رسالته.. والبلاغة تكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون بذاته بليغاً؛ وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف:

-صواب في موضوع لغته.

-وطبقاً للمعنى المقصود به.

-وصدقاً في نفسه..ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة..

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل، والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمراً، ويورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له.. وقوله تعالى﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾(٧٠) يصح حمله على المعنيين»(٧١).

وهكذا فإن البلاغ هو جهد رساليٌّ، يسعى فيه المُبلِّغ أن يصل في الأمر الذي يريد أن يبلغه إلى منتهى المقصود من الأهداف والغايات، أو استفراغ الوسع والطاقة لتحقيق النتائج العظيمة في النهوض بأمر الإبلاغ.. والتقصير في أداء مثل هذه الروح المعنوية، وإرادة العمل، والتخطيط له، يعد، هذا التقصير بمثابة من لم يتحمل مسؤولية تحقيق الأهداف الرسالية. ثم إن على المُبلِّغ أن يتحلى بجملة مواصفات منها ما له علاقة بالقول والعمل الذي يقوله ويؤديه.. بحيث إن الصدق والإخلاص، والدقة في الأداء ينبغي أن تحكم فعل المبلغ وقوله. ومنها ما له علاقة بالجهة المقصودة والمستهدفة بالبلاغ بحيث إن عليه المعرفة والدراية بحالها، وثقافتها، وطبيعة تلقيها للأقوال والأعمال.. فلا يقول ولا يمارس العمل التبليغي إلا بالطريقة التي تؤثر في أصل ذات ونفس وكيان الجهة المستهدفة بالإبلاغ....

وهذه المواصفات العامة ينبغي أن تتم مراعاتها بشكل دقيق في الشعائر الإبلاغية الحسينية... بغية أن لا نخفق في إيصال المشروع النهضوي الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام ففي هذه الشعائر لا بُدَّ من قول الحقيقة والصدق ... ولا بد من مراعاة تأثير القول والممارسة على المتلقين للبلاغ العاشورائي.. إذ المخاطب في هذا البلاغ، لا يصح أن يكون مقتصراً على الشيعة وحدهم.. بل هو بلاغ لا بد أن يصل لجماعة المسلمين كل المسلمين..

إضافة إلى أنه لا بد أن يصل أيضا إلى كل إنسان في هذا العالم، فإن مثل هذا البلاغ يطوي كل المديات والمساحات الواسعة من التلاقي مع كل ضمير حر..

وهو يحمل من القيم ما يؤسس لمجابهة الباطل، أينما كان، وأنَّى كان مصدره... وعلى الذين يؤمنون بنهضة الإمام الحسين عليه السلام أن يؤمنوا بهذا الأفق الواسع المفتوح أمام إحياءات الشعائر الحسينية الإبلاغية لينطلقوا وبوعي رسالي في إنقاذ قيم النهضة الحسينية في الحياة، وعالم الناس...

كما عليهم أن يؤمنوا أننا في زمن بات على كل واحد منا العمل وبذل كل الجهد لتأدية هذه الوظيفة الإبلاغية، وبشكل شامل، ومتعدد الوجوه والأبعاد..

ومن الأمور التي ينبغي التحضر لها في تأدية الشعيرة، أو الشعائر الإبلاغية الحسينية، تأمين شروط إنجاح مقاصد الشعيرة أو الشعائر .. ومن هذه الشروط ما هي شروط ذاتية نذكر منها:

أ- أن تكون هذه الرسالة، رسالة حق، وأن نؤمن أنها رسالة حق.. وأن الحق مهما غالبه الباطل، فلا بد له من أن ينتصر في نهاية المطاف.. وما هذه الصراعات بين أهل الحق والباطل، إلا ابتلاءات رسالية لتقوية عضد أهل الحق والإيمان...

يقول تعالى في محكم تنزيله: **﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾**(٧٢).

فصحيح أن معاوية؛ الشخص؛ قد ساد في فترته الزمنية، أما معاوية الرمز فإنه تحوَّل إلى عنوان السقوط الأخلاقي، والمكر والخديعة.. فما إن مات حتى انتهشته ألسنة الناس، وأحكامهم عليه إلى يومنا هذا.. بينما حق علي عليه السلام والحسين عليه السلام فقد كان رمز كل العنفوان وسبيل خلاص الإنسانية...

ب- من الشروط الذاتية لوصول الرسالة الإبلاغية إلى مقاصدها أن تكون متوافقة مع الوجدان الإنساني، ومتصادقة مع العقلانية بحيث تكون قادرة على

إقناع الناس.. والذي يراجع كل الخطابات العاشورائية التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام في مسيرته النهضوية يلحظ مدى توفر، رسالته الإبلاغية على هذا الشرط...

وبالتالي، فنحن مسؤولون اليوم، عن أن نقدم للناس ما يتوافق ووجدانهم الإنساني، وأن نقدم لهم ما يقنعهم بأحقية وصدقية قضايانا، والنهج النهضوي الحسيني الذي نؤمن به.. وحينما أقول الناس؛ فإني لا أعني الشيعي فقط، بل أقصد كل إنسان قابل للإصغاء والحوار...

وهذا الدرب، وإن كان صعباً وشائكاً وطويلاً، إلا أنه مكفول بلطف عناية الله سبحانه ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٧٣)..

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾(٧٤) هذا وهناك شروط تتعلق بالأسلوب الذي نتبعه في إحياء وممارسة الشعائر الإبلاغية.. إذ لا بد لهذا الأسلوب أن يتصف بقيم الحكمة، والأحسن من القول في الجدال والموعظة... بحيث نهتدي في القول بما يثير كل عوامل التأثير في المُخاطَب.. مُتأسّين بقوله تعالى:﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾(٧٥).

وهذه الميزات الأسلوبية نرى لها مورداً خصباً في الحدث العاشورائي بسردياته العاطفية الإنسانية وفي علاقة الإمام بالأصحاب.. وعلاقته بأخته زينب (ع) وأخيه العباس عليه السلام وأبنائه لا سيما علي الأكبر عليه السلام.. وموقفه مع الطفل الرضيع الذي ذبح بسهم الضغينة بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام... كما نجد له المورد الخصب في خطب الإمام زين العابدين ومواقفه وفي خطب السيدة زينب ومواقفها .. وفي أحاديث الأئمة(ع) والزيارات .. ومجالس العزاء بكل ما يكتنفها، بل أقول إن نفس الصيغة المشهدية لأحداث عاشوراء لها هذا التأثير البليغ، إن أحسن الأداء في إيصال

المرامي بأصدق وأوفر الألفاظ والأعمال والمعاني..

وهناك من الشروط ما يتعلق بالمبلّغ.. وعمدة هذه الشروط الإخلاص، والصدق .. ولا يخفى ما يمكن أن يتعرض له المشتغلون بالشأن العام من إحراجات وابتلاءات قد تنسيهم بعضاً من ارتباطهم بربهم، والرسالة التي يؤمنون بها.. فيتصرفون وبسبب ما يوليهم الناس من عناية واهتمام، وكأنهم، هم مصدر الخير ومنبعه فيروّجون لأنفسهم، وينسجمون في تصرفاتهم مع طريقة تقديم الناس لهم.. فإذا ما تحدثوا سعوا ليقولوا ما يحفظ استمالة نظر الناس وقلوبهم إليهم بغض النظر عن صحة ما يقولون، أو توافق أقوالهم وأفعالهم مع الأهداف التي يؤمنون بها، ومع إخلاص وخلوص الارتباط بالله سبحانه وتعالى....

وهذه الشائبة قد يتعرض لها المبلغون الحسينيون؛ لذا فإن عليهم الالتفات لها...

هذا، ولا يخفى أن إبكاء المؤمنين على الحسين عليه السلام ولما لحق بآل محمد (ص) من مآسٍ ومصائب أمرٌ عبادي ومستحب مؤكد؛ كالبكاء عليه دون فرق، وهو أمرٌ مطلوب، ومأمور به كسائر الأعمال المرغوبة والمستحبة، وعليه من الثواب والأجر ما عليها. والأمر به شامل للمكلفين كلهم على حسب قدرتهم واستطاعتهم، ويستحق ممتثله الأجر والثواب، تماماً كأصل البكاء على الحسين عليه السلام الذي هو من أعظم العبادات، وأجل المثوبات التي كُلّف بها الأنام، دون فرق بينها، وبين أنواع العبادات المختلفة، غاية ما في الأمر أن البكاء على الحسين عليه السلام ليس متيسراً لكل أحد، كما في الإبكاء عليه.. إذ الإبكاء أمرٌ ميسَّر وسهل المؤونة، وليس فيه كثير عناء ومشقة، بينما البكاء يحتاج إلى ما يثيره ويحركه؛ لهذا شمَّرت جماعة قارئي العزاء عن سواعد الجد والنشاط لإحياء هذه السنة السنيَّة، وإقامة هذه الشعيرة العظيمة.

وعلى هؤلاء أن لا يغفلوا ولا يغيب عن أذهانهم، أن هذه العبادة كغيرها من

العبادات لا تكون مقبولة إلا إذا كان الداعي إليها نيل رضا الله، وإدخال السرور على قلب رسول الله (ص) والأئمة الأطهار(ع). وإذا كان هناك من يرجو تحصيل الأجر والثواب ويطمع في غفران الله لذنوبه، وتجاوزه عن خطيئاته، ونحو ذلك، مما لا يتنافى مع الإخلاص، فأي عمل أفضل وأجل، لتحصيل كل ذلك، من هذا العمل المقدس الذي فيه طاعة الله تعالى ورضى الرسول والأئمة(ع)..

أما إذا صعد المنبر، وهو يريد التقرب من المخلوقين، ونيل رضاهم.. فإن الشيطان سيدفعه ليقع عن ذلك المنبر إلى حفرة الهوى والنفس، وينزلق إلى هاوية الدنيا القذرة»[٧٦].

وهكذا فإن الإخلاص في النية، والمنطلقات، والأهداف في تبليغ النهضة الحسينية، كما وإن صدق الحديث والعمل في إبلاغ الرسالة والنهضة والحسينية هو من أجلّ الأوصاف التي ينبغي أن يتحلى بها الحسينيون﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٧٧].

وفي الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «تعلموا الصدق قبل الحديث»[٧٨]. وعن الإمام الصادق عليه السلام «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش .. ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[٧٩].

وهاتان الخصلتان يقع فيهما سر كل صلاح وفلاح،.. بل وإنهما إذا ما توفرا في حياة المجاهدين الحسينيين فإنهما كفيلان بتحقيق التسديد من الله سبحانه.. فقلب المؤمن إذا خلا من كل ما سوى الله.. وإذا صدق المؤمن في علاقته مع ربه، أنزل الله عليه الصبر والسلوان والنصر.. فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يشير أن الله لما اختبر صدق وإخلاص أصحاب محمد (ص)

أنزل عليهم النصر.. وهذه المقاومة الإسلامية، التي يعتبر السيد حسن نصر الله أن سر النصر الإلهي الذي تحقق لها في تموز عام ٢٠٠٦ م، إنما كان بسبب الإخلاص في التسليم لأمر الله، والصدق في القول والعمل في سبيل تحقيق أهداف النهضة الحسينية، فالروح الحسينية الصادقة والمخلصة هي التي قاتلت في جبهات الحرب ضد العدوان الإسرائيلي الغاشم.. وهذه الروح إنما تم اكتسابها بفضل إحياء الشعائر الإبلاغية الحسينية، التي جعلت من قادة وشباب المقاومة «رجال الله» السالكين درب كربلاء، درب ذات الشوكة.. وجعلت من النساء والأمهات بأحسن صورة من صور التأسي بالسيدة الحوراء زينب(ع)، وهذا الإحياء الذي تحوَّل إلى مجالس دخلت كل بيت وقرية ومدينة، أخذت بسبب تثوير إحياء أهدافها أبعادا جديدة، بحيث إن أوقاتا مرت مع المقاومين، كانوا يمتثلون في مقاومتهم الاستجابة لصيحات الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.. فيجيبون في أرض حولوها هم إلى أرض كربلائية.. واندفعوا يواسون رسول الله (ص) والزهراء (ع) والأئمة الأطهار (ع) بدموعهم ودمائهم لتكون للشعائر الإبلاغية الحسينية جوهرها الجديد في جريان نبض الحياة بجسم هذه الأمة، وبقضاياها.

المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها البلاغ الحسيني:

إننا إذ نؤكد أن الأصل في كل صفة تبليغية يتحلى بها المبلغ هي: الإخلاص، والصدق فمنهما تصدر وعنهما تكون بقية المواصفات... والتي نذكر منها:

أ- السعي الدؤوب لتطوير الأساليب، والأعمال التي توفِّر الأرضية الصالحة لتحقيق أهداف ومقاصد النهضة الحسينية، شرط أن تكون تلك الأساليب شرعية.

فمن ذلك أن الصوت، والصورة، والعمل المسرحي، لها تأثيرات استثنائية في تجييش الوجدان الإنساني، ومساعدته على تقبل واستيعاب الأهداف والأفكار بطريقة قوية وسلسلة.. مما يعني أن علينا تطوير الآليات الخاصة

بتقديم البلاغ العاشورائي عبر هذه الوسائل، وبما يحقق فريضة إحياء الدين، وأمر آل النبي (ص).

ب- الحرص على أن يكون الخطاب الحسيني واحداً.. إذ لا يصح منا أن نقدم خطابين متغايرين في إحياء الشعائر الإبلاغية الحسينية.. وهذا لا يعني أن كل الخطاب له مستوىً واحد.. فالخطاب الحسيني كأي خطاب يحمل أكثر من بعد، وأكثر من مستوى .. ومخاطبة الناس بحسب أوضاعهم ومستوى معارفهم أمرٌ طبيعي.. لكن لا يصحُّ منا مثلا أن نقدِّم مرةً خطاباً مذهبياً تحريضياً، ثم وبمكان آخر نقدم خطاباً إسلامياً توحيدياً.. وإلا وقعنا وأوقعنا من حولنا بازدواجيات في النظرة إلى قيم الصدق في القول والعمل.. هذا فضلاً عن أننا نكون بذلك قد أوجدنا انطباعاً عاماً لدى الناس يرفض منا كل مقولة، ويتهمنا بالكذب، ولا يأمن لنا بموقف أو قول.

وفي هذا مخالفة صريحة لأخلاقية الانتماء إلى النبي (ص)، والآل (ع). في قولهم: «كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا»[٨٠]؛ فضلاً عما فيه من مخالفة صريحة للحكم الشرعي بوجوب «الصدق».

ت- أن لا يتكلَّف المبلِّغ في القول.. وذلك بأن يتحدث بما لا يعلم.. فإن في ذلك تجهيلاً للناس عن معرفة الصواب.. فكم من الخطباء يتناولون أموراً ويتحدثون بها، بضرسٍ قاطع[٨١]، دونما دليل أو علم أو بيان، وكم من هؤلاء حوَّلوا السيرة والنهضة الحسينية، إلى ما يشبه الأسطورة، بحيث أخرجوها ولفترات متمادية من الزمن عن فعَّالية التأثير، إلى أن قيَّض الله من تمثَّل هذه السيرة والنهضة فهماً، وقولاً، وعملاً، وسلوكاً استشهادياً، حتى أقام للإسلام دولة قال فيها: «إن كل ما لدينا من عاشوراء»[٨٢]؛ لذا فعلى من لا يعلم أن لا يتكلَّف القول. مجاراة لقول الله سبحانه ﴿مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٣٨]..

ث- حفظ التواضع في العلاقة مع الناس، إذ لا يصح أن يعتقد الواحد منا بنفسه أنه على شيء.. وبالتالي، فهو فوق مستوى الناس إذ مقتضى رسالة المبلِّغ

تقوم على قاعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[84]؛ وعليه التفريق بين نعمة خدمة الناس وقصد الناس له. وبين أن يتعامل معهم، وكأنه صاحب فضل عليهم «اللهم لا ترفعني في الناس درجة، إلا حططتني عند نفسي مثلها»[85].

وهذا الأمر كان واضحاً مع الإمام الحسين عليه السلام عندما خاطب الناس وطالبهم بالخروج معه في ثورته.. إذ جعل نفسه وأهل بيته بتساوٍ في المهمة والتصدي الاستشهادي في المواجهة، مع بقية الناس، بل هو قدَّم ما لم يقدمه أي واحد منهم في التضحية، ومن مستلزمات مثل هذا التواضع الرفق واللين في القول: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[86].

واحترام الناس وتقدير التعاطي معهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[78].

إن هذا المستوى من التواضع والرفق واللين في التعاطي مع الناس، والذي يُبنى على أساس الرحمة هو الذي يجعل من الكلمة، والموقف، والقرار إذا صدر من صاحب البلاغ الرسالي له موقع التأثير البالغ في وجدانهم وفي حثهم على تقديم الغالي على درب النهوض الحسيني،..

ج- بالوقت الذي يتمتع فيه الرسالي في حركته الإبلاغية للنهضة بكل مواصفات التواضع واللين والرحمة، فإن عليه الاتصاف بالجرأة والاقتدار والشجاعة في أخذ القرار، والتحرك، والمواجهة. وهذه الجرأة تنبع عند المبلِّغ الحسيني الرسالي من إيمانه بأن القوة لله جميعاً ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ﴾[88].

فعندما تنفذ خشية الله في قلب الإنسان وتستقر، فإنها تطرد من هذا القلب كل أنواع الخوف والرهبة من غير الله سبحانه.. فتسقط صور الأرباب القاهرة من حسابات أهل الإيمان، مهما عتا وعلا أرباب الجبروت بغيِّهم وجبروتهم..

وبمقتضى هذا التوازن بين التواضع والرحمة من جهة، والجرأة والاقتدار

من جهة أخرى ينشأ مجتمع (الذين مع رسول الله (ص). مصداقاً لقوله تعالى﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٨٩].
وهذا التوازن هو الذي يجعل من الرسالي الحسيني المبلِّغ رسالة ربّه؛ عبر الشعائر الحسينية وأمثالها؛ مرتبطاً في كل حركته بأهداف تحقيق رضا ربّه، فلا تغرُّه آراء الناس فيه، ولا يخرجه مزاجهم عن ثباته الإيماني وشعاره الدائم، وضميره الحي في كل حركته قوله سبحانه:﴿قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[٩٠].

وبالتالي، فإنه لن يتحكم بعد ذلك بمصير الذين يرتبطون به ويتأثرون ببلاغه النهضوي، إذ حتى لو صحَّ أنه مُوجِّههم، أو مرشدهم، أو واعظهم، أو قائدهم.. فإن هناك ضوابط تفرض عليه من الله أن يكون رغم كل هذه التسميات خادماً لهم وبشكل أساسي وأكيد.. لذا فإن الله لطالما أخبرنا أن في تجارب الأنبياء محطاتٍ عرض فيها المجتمع الجاهلي والمستكبر؛ ولو ببعض شرائحه؛ أن ينحاز إلى رسالة هذا النبي، أو ذاك، لكن بشرط أن يتخلى النبي عن القوم المستضعفين الذين التحقوا به من قبل؛ وذلك لأسباب طبقية وجاهلية كان المترفون يعيشونها بأحاسيسهم وثقافتهم.. لكن الأنبياء أعلنوا أمام الملأ، أنهم لا يستطيعون ذلك، حتى ولو بطريقة مرحلية، بحيث يتخلون عن المستضعفين لكسب ودِّ أهل الترف والاستعلاء الاجتماعي والسياسي، ثم لما يؤطرونهم بدعوتهم يعودون فيضموا المستضعفين إليهم.. لأن مثل هذا الأمر إنما الحكم فيه لله سبحانه، الذي يقول في محكم تنزيله ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ المؤمنين﴾[٩١].

وقوله سبحانه﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٩٢].

فالثبات في حفظ أهل الخصوصية من الإيمان، هو من الإيمان نفسه.. وأيٌّ

تخل عنهم فيه تخل عن الإيمان نفسه.. وهذا ما على أهل الريادة في الإبلاغ الحسيني أن يتفهموه جيداً.. سواءٌ أكانوا قياديين في عملية النهوض الحسيني، من الذين قد يُبتلون بسعي أصحاب النفوذ الاجتماعي والسياسي إلى التواصل معهم، بطريقة قد تُنسي هؤلاء القياديين المعنيين في عملية النهوض الحسيني، رغبة الناس من أهل الولاء في دوام التواصل معهم، بأمور فيها لله رضا، ولمحمد(ص) وآل بيته الأطهار (ع) سروراً.. فأحياناً قد يغفل هؤلاء القادة عن هموم أهل الإيمان والولاء من المستضعفين، وهذا ما سيعرضهم لمحذور الانحراف عن القيم الرسالية المحمدية الحسينية.. أو سواءٌ كانوا من الخطباء وقراء المجالس الحسينية، أم مجالس الوعظ والإرشاد.. فنحن في الوقت الذي نعتقد أن هؤلاء الخطباء باتوا يشكلون مرجعيات حساسة في تكوين الوعي الشعبي النهضوي، والإسلامي - الحسيني.

ونعتقد أن على هؤلاء أن يكونوا على قدر من الحكمة في القول، بحيث يراعون أن بين المستمعين لهم من لم يتهيأ بعد لمعرفة الخصوصيات الثقافية والدينية للنهضة الحسينية، فعليهم تقديم ما يؤثر في مثل هذه الشرائح... فإننا نؤكد أيضا أن الناس من أهل الإيمان والولاء لهم حاجة ثابتة في تلقي ما يُشبعُ وجدانهم الإيماني والولائي، خاصة في عاشوراء.

فلا يصح أن يتحوَّل الخطيب بكلامه عنهم، لينصرف إلى غيرهم.. وكأنه يطردهم من محضر مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهم بالأساس خميرة النهوض الأبدي لهذه النهضة، ولحياة هذه الشعائر.. فثوابت المضمون ينبغي حفظها، كما ينبغي حفظ المؤمنين بها؛ لأنهم هم الأصل.. والبقية التي نحترم إنما على أصحاب المجلس الحسيني أن يعرضوا أمامهم الواقعة كما هي.. خالية من أي تنازلات، كما وخالية مما علق بها من ثقافات وأعراف وتقاليد وأقوال تجانب الحقيقة والموضوعية والوجدان الإسلامي، والقيم الدينية..

الدور المركزي للمجالس العاشورائية في النهضة الحسينية عبر التاريخ:

لا نجانب الصواب لو قلنا إن المراسم والشعائر الإبلاغية الحسينية، تمركزت بشكل رئيس في المجالس العاشورائية، بشكلها المعروف. وإن بقية المراسم إنما تفرعت عن هذه المجالس، سواءً من تلك المراسم : المسيرة العاشورائية والموكب الحسيني وما يحفه، أم اللطميات، أم العمل المسرحي أم غير ذلك..

ويعود الفضل في هذه المجالس إلى عنصرين أساسين:

أولهما: الطريقة التي اعتمدها الإمام زين العابدين عليه السلام وعمته السيدة الحوراء زينب(ع)، في خطبهما، التي أطلقوها بجموع من الناس، والتي تخللها الكلام العقيدي، والوجداني، والسياسي الذي فيه كل صنوف التحدي والثورة والاستنهاض الممزوجة بالعواطف الجياشة، وما رافق هذه الخطب من نياحة وبكاء وعويل وتفجُّعات حصلت بين الناس المصغين إلى خطب الإمام عليه السلام والسيدة زينب(ع).. مما أسَّس النواة الأولى لوضعية مجلس العزاء.

ثانيهما: رعاية الأئمة الأطهار (ع) لإنشاد الشعر في الحسين عليه السلام.. بحيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:«ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتى يؤيَّد بروح القدس»(٩٣).

ولا يخفى على مطلع ما لهذه العبارة، من تأثير قُدسي في النفوس التواقة للإيمان، ونشدان التسديد الإلهي...

هذا وقد روى أبو هارون المكفوف، قال:

«قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام فأنشدته فبكى، فقال عليه السلام: أنشدني كما تنشدون، يعني بالرقة، قال فأنشدته:

أمـرر علـى جدث الحسـين   فقـل لأعظمـه الزكيّة

فبكى، ثم قال عليه السلام: زدني فأنشدته القصيدة الأخرى، ... فبكى، فسمعت

بكاء من خلف الستر.. فلما فرغت.. قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً لهما الجنة»(٩٤).

وهكذا فإن صيغة الإنشاد الشعري، والمجالس التي عقدها الأئمة لذكر الإمام الحسين عليه السلام كان لهما الأثر البالغ في تأسيس المأتم الحسيني.. على مستوى إقامة المجالس، أو المواكب العاشورائية.

وهنا من المفيد أن نتناول الركائز الثلاث التي يقوم عليها المجلس الحسيني العاشورائي:

الركيزة الأولى: الخطيب الحسيني:

الخطيب هو الشخص الذي يقوم بالخطابة؛ أي بالكلام المُجيد، والمُقنع. وللخطيب شروط عليه أن يتمتع بها، منها: القدرة على الإقناع؛ والتي تتجلى بالأسلوب وإيحاءات الكلام، والحركات المرافقة للكلام من نغم الصوت، أو ترافق حركة اليد مع الكلام وغير ذلك..

ومنها مصداقيته الشخصية، فلن يؤثر الخطيب في الناس ونظرتهم إلى الأخلاق والقناعة والنهضة، إذا ما كان هو في سلوكه شخصاً محباً للدنيا، متقاعساً عن أداء الواجب .. لذا ورد بهذا الشأن «كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم»(٩٥).

ومن الأمور المهمة، ضرورة توفره على ثقافة مبنية على:

١- العمق في معرفة روح المقاصد والقيم الإسلامية العليا، التي يتضمنها القرآن الكريم، والسنة الشريفة..

٢- فهمه ومعرفته بموقع الإمام الحسين عليه السلام ودوره في حركة الرسالة الإسلامية النبوية؛ وما هي القيم التي قامت عليها هذه النهضة الحسينية؟، وما هي الأهداف التي توختها؟، والأساليب التي انتهجتها؛ وكيف يمكن أن

نثقف الناس بالثقافة الحسينية؟...

٣- أن يتحسَّس الخطيب واقع الناس، وحاجاتهم، والمشاكل التي يتعرضون لها، وأن يكون على دراية بواقعهم النفسي والاجتماعي، والثقافي فالناس هم المورد الذي يعمل الخطيب الحسيني على أن يتوجه اليه.

٤- التنوُّع في المعارف والمدارك؛ لأن الفكرة الواحدة، إذا ما قُدِّمت للناس بوجوه ومداخل متنوعة، أوقعت في النفس تأثيراً خاصاً، ورسخت في فهم وضمير المتلقي..

٥- الدقة في المعلومات التي عليه بثها بين الناس؛ لأن السيرة الحسينية ليست مجرد سرديات لا علاقة لها بعقيدة الناس وحياتهم؛ بل هي مما يبني في نفوس المتلقين كل أبعاد العقيدة والقيم والأحكام الإسلامية بصورتها الحيوية والمتحركة، والمؤثرة النافذة في مرتكزات المجتمع الإسلامي، وهي بذلك تحمل هدفاً تاريخياً ومصيرياً، بتغيير الواقع الإنساني، نحو واقع يريده المولى سبحانه. فلا يصح لمعلومات وأخبار وتحليلات لها مثل هذا التأثير، أن لا تشكل مورد عناية وتدقيق في معرفة حقيقتها وصدقيتها...

لكن قد يفهم البعض من هذا الكلام أننا نريد التأكيد على الجانب التحقيقي في السيرة ونترك الجانب الوجداني.. لذ لا بُدَّ من التنبُّه أن السيرة الحسينية العاشورائية بأصغر تفاصيلها وأكبرها هي بالأساس تثير العاطفة والوجدان.. ثم إنه فضلاً عن ذلك، مقتضيات إثارة الشجن أثناء قراءة السيرة من تحريك الخيال الذي يستنفر العواطف والأحزان هو حقٌ طبيعي، طالما أنه لم يخرج عن المألوف، ولم يحوِّل السيرة والأحداث إلى أساطير...

هذا، وأشير في هذا المجال إلى نقطة ضعف موجودة في خطباء المجالس الحسينية، وهي أنهم يتناولون الإطار العام للسيرة وتحليلاتها، علماً أن التركيز أحياناً على جزئية ما، وتحويلها إلى رمز يحمل دلالات وأبعاد خاصة قد تكشف لنا عن خبايا في الأبعاد المعنوية للنهضة، وهي كفيلة باستثارة عواطف،

لم نعمل من قبل على استثارتها.. فمثلاً لو توقفنا عند ما يقوله مؤرخو السيرة الحسينية عن إشراقة وجه الإمام الحسين عليه السلام، أثناء المعركة ودلالات ذلك وأبعاده ومعانيه في شبكة المفاهيم، والقيم الإسلامية، والإنسانية وصلتها بهذه الواقعة، لوصلنا إلى أمور تشكل روافد جديدة في نهر النهضة الحسينية الدافق .. ومثل هذا الأمر كثير؛ فمن علاقة الأخوة وبعض تفاصيلها، إلى الذكر، والصلاة، والتقرب إلى الله، والإيثار، وتحوُّل القائد والمقود إلى جبهة أسرية واحدة في كربلاء، كلها أمور يمكن لنا التوقف عندها... وهي تفيد في تحريك العواطف دونما حاجة إلى اللجوء لابتكار قصص وأحداث مفتعلة، وتنسيبها إلى عاشوراء.

وإذا أردنا استكمال بعض شروط ومواصفات الخطيب الحسيني الناجح، فإننا نذكر ضرورة قدرته على التقاط الجانب الوجداني في عاشوراء من مدخل القلب الذي يُقنع العقل، .. وهي ميزة فريدة من ميزات نفس الواقعة العاشورائية.. فالأصل في النهضة العاشورائية هو هذا الجانب الذي به تتحرك الأبعاد المعنوية الإيمانية ثم المعرفية، .. فحينما يصبح القلب بحال من الاطمئنان والتسليم، يمكن للعقل أن يقنع، وأن يرى في وجه النهضة ما لم يكن يراه من قبل.

ولعل من أكبر الأخطار على النهضة الحسينية العاشورائية العمل على تجفيف منابع هذه العواطف الجياشة فيها.. لأن عاشوراء، وواقعة الطف، والنهضة الحسينية، واقعة ونهضة إنسانية بامتياز؛ فلا يجوز إلغاء هذه الخصوصية تحت عناوين جامدة من الثقافة التي تريد للأفكار والمشاعر أن تكون وكأنها أشياء تخضع لحساب الأرقام...

ومن مواصفات الخطيب الحسيني التواضع في الحديث، وفي التعلم والتعليم، والتطوير للمعرفة والتربية والأداء الخاص به..

فكثير من هؤلاء حينما يرى أنه من خُدَّام الإمام الحسين عليه السلام يحاول أن

يوهم الناس وكأنه هو الموفد الخاص للسيدة الزهراء (ع) أو باب الإمام الحجة(عج).. فيأخذ بالكلام تصريحاً أو تلميحاً عن إشارات ومطالب تلقاها من المعصومين (ع) وهو الآن ينقلها إلى الناس، ثم بعضهم يبدأ بفرز الناس هذا صالح وذاك سيء... وبعضهم يطلب من الناس أن يكرموه بطريقة ملوكية، وإلى ما هناك من تصرفات منحرفة .. ننزه القراء الحقيقيين والخدَّام الحقيقيين للمجالس الحسينية عن الوقوع بها...

ومن الشروط والمواصفات؛ التطوير الدائم لإمكانات الخطيب الثقافية، والعلمية، والمعرفة بأحوال الزمان والبعد الروحي عنده، ثم الأداء في عرض المطالب وقراءة المجلس.. وعملية التطوير هذه ينبغي أن لا تقف عند حدود، وإلا أوقعت مع الوقت المستمع في الملل، والقارئ في التكرار...

ومن الأمور الضرورية التي ينبغي للخطيب التوفُّر عليها، وضوح الهدف من أصل إقامة الشعائر الحسينية الإبلاغية؛ فالخطيب الذي يظن أن دوره يقتصر على مجرد الإبكاء، هو خطيب قاصر عن التواصل مع الأئمة الأطهار (ع)، في مقاصد حثِّهم على إقامة الشعائر الحسينية عموماً... والشعائر الحسينية الإبلاغية على وجه الخصوص.

إن على الخطيب استحضار دوره الجهادي والنهضوي في هذه المسيرة الإلهية الكبرى، بحيث عليه معرفة:

١- الهدف والأسباب التي دعت الإمام الحسين عليه السلام للقيام والنهوض بالأمة، بحيث إنه قدَّم على طريق هذا النهوض أقدس وأنبل وأعز ما لديه..

٢- وضوح العلاقة العقائدية بين الإمام والمأمومين، فإذا لم يكن واضحاً عند الخطيب أنه يقوم بدور الواسطة في تأكيد الشعيرة الإبلاغية التي أراد الإمام عليه السلام إيصالها إلى الموالين، فإنه؛ أي الخطيب، يكون كمن يعمل في غير ما هو له..

٣- المشاركة في تغيير حال الأمة عند كل منعطف يأسٍ تصل إليه، ودفعها

نحو مواجهة الابتلاءات بإرادة وثقافة ومعنوية حسينية عالية؛ لذا فإن على الخطيب أن يأخذ دوره في هذا الواقع وأن يبتكر السبل والأساليب والطروحات القادرة على تحقيق هذه الغاية النبيلة.

ومن ذلك؛ أن يسعى الخطيب إلى الاستفادة من موقعه في تقريب أواصر الود والتراحم والمحبة بين الموالين، ليكونوا جبهة واحدة في دفع الظلم والحيف الاجتماعي والسياسي.

الركيزة الثانية؛ الجماعة المستمعة والمشاركة في إقامة المجلس:

صحيح أن سرد السيرة الحسينية، يشبه بنمطه وأسلوبه أسلوب الحكواتي.. أو يشبه بطريقة ما نمط العمل المسرحي .. إلا أن الناس هنا في المجلس الحسيني، ليسوا ضيوفاً وزواراً «برانيين» للمجلس،.. بل هم أصحاب علاقة عضوية متفاعلة ومؤسِّسة للمجلس .. فحينما يقرأ القارىء (مجلس العزاء الحسيني) فهو بالواقع لا يورد على مسامع الحضور أموراً لا يعرفونها... بل قد يكون بين هؤلاء من هو على معرفة ودراية بالقصة الكاملة أكثر من القارىء نفسه.. لذا فهناك معاونة ومشاركة بين القارىء والحضور في إقامة المجلس.. عليه، فإن الهدف الذي يربط بين أعضاء الحضور المشاركين في الاستماع، والقارىء (الناصّ) للسيرة،.. هو إقامة احتفال حسيني وظيفته تجديد العهد مع المُحتفى به صاحب الذكرى... فالناس تتجه إلى المكان لتؤكد عهدها مع إمامها عليه السلام ... والقارىء يتوجه ليُذكرهم بمثل هذا العهد وما حفَّه من تضحيات وآلام وبذل وعطاء.. ثم يعمل على تأكيد الأهداف المرجوة، والطريق المملوءة بالابتلاءات الموصلة إلى تحقيق هذه الأهداف..وإن من يريد تجديد وتأكيد العهد عليه أن يكون واضحاً عنده كل ما يتعلق بدواعي النهضة، وظروفها، وملابساتها وابتلاءاتها.. فيصبح المكان غير المكان، إنه امتداد كربلاء ... ويصبح الزمان غير الزمان، إنه امتداد عاشوراء .. لذا فعلى الأشخاص التوبة... والتوبة هنا ليست مقايضة بين الناس النادبين، الباكين،

اللاطمين، الصارخين .. وبين إمامهم .. بحيث تكون عقدة نقص تاريخية يعبرون عنها بهذه الطريقة ثم يقايضون إمامهم عليها وكأن لسان حالهم ..نحن نقدم لك أشكال الحزن والفجيعة وأنت تُقدِّم لنا الشفاعة. إن هذا المفهوم؛ هو من مفاهيم (القربان الوثني) والذي اخترق بعض الطقوس الدينية...

أما التوبة هنا فهي قرار، وإعلان عن وعيٍ وإرادة التزام خط المسير النهضوي الحسيني، وهذا الإعلان يأخذ في مقدماته الأولى شكل البكاء، والصياح، واللطم.. ويتفاعل تدريجياً في وجدان الجماعة ليشكل حاضنة حفظ للهوية والانتماء.. وجبهة دفاع عن العقيدة والقيم والأهداف والحب الولائي للإمام الحسين عليه السلام، وجده رسول الله محمد (ص) وآله الأطهار (ع).

من هنا كان الشعار الدائم في المجالس العاشورائية، وهو شعار يردده الحضور عادة «يا ليتنا كنا معكم، سيدي يا أبا عبدالله، فنفوز فوزاً عظيماً».. ليصبح الجمع بمثابة الأصحاب المباشرين للإمام عليه السلام.. ولو على مستوى القرار، أو بالحد الأدنى التمني.. وهنا يبدأ المائز بين شخص وآخر.. على مستوى التفاعل والتربية الجهادية وفي مراتب التضحية، وجدِّية الانتماء الولائي لأبي عبد الله عليه السلام، في الوقت الذي تبقى فيه السمة الجامعة بين الكل هو المجلس بمراسمه وشعائر البكاء فيه والإبكاء، ومعونة القارىء في أدائه حتى نكاد في بعض أوقات المجلس لا نلحظ الفارق بين دور القارىء والحضور..كما والكل ينتمون إلى معتقد ولائي ورسالي واحد..أو يريدون الالتحاق ولو تقليدياً بهذه الجماعة الموالية.. وهكذا، فإن هذا المجلس بحضوره المتميِّز يفرض على الخطيب تفاعلاً خاصاً معه.. بحيث يُلقي عليه ضرورة حفظ الثوابت في بيان: مَنْ المظلوم؟ ومن الظالم؟.. مهما كلف الثمن.. ويُلقي عليه مسؤولية حفظ النهضة من شوائب أي توهين.. كما يُلقي عليه توازناً في الطرح بين مراعاة الحضور من الموالين، والحضور ممن عليه إيصال البلاغ إليهم...

وهكذا، فإن الجماعة تؤكّد رسوخ هويتها التي اكتسبتها من شعيرة الزيارة العاشورائية .. بعد أن حضّرت نفسها بالتزامها شعائر الحزن وتغيير ما بالأنفس، لتنطلق وبإرادة الجماعة الحسينية الواحدة، نحو استكمال المسير الحسيني الناهض بالرسالة الإلهية الإسلامية، وقيم النبوة المحمدية، لتحقيق القسط والعدل في الأرض، تحت راية وولاية صاحب العصر والزمان، قائم آل محمد (عج)، ...

المرتكز الثالث: وهو ما يتعلق بمضمون الموضوع الحسيني:

وبيان هذا المضمون يبرز من خلال تلاوة السيرة الحسينية وأحداثها، وما يحفُّ هذه السيرة من وقفات لإثارة المخيال التاريخي للموالين، والعواطف الحميمة المرافقة لها..

وإن الملفت في قراءة المضامين المتعلقة بالسيرة الحسينية المطهرة هذا الإشباع العقائدي الذي تحمله هذه السيرة، والذي جعل أفق الحدث العاشورائي فوق اعتبارات الخصوصيات الزمانية والمكانية، ليكون رسالة الإنسان في قيمه وفطرته ووجدانه الطموح والمملوء بالأمل وإشراقة المستقبل...

وأختم هنا المشهد العام لدور الأصناف الثلاث من الشعائر الحسينية بالقول،...:إن شعائر الحزن تتقوم بتغيير ما بالأنفس من ضعف ووهن وذاتية لتبني ذاتاً جديةً في حمل مسؤولية النهضة، ثم تأتي الشعائر المكانية المتعلقة بالزيارة كشهادة حق جماعية تمارسها الأمة عبر أجيالها، في الوصول إلى نقطة الانطلاق الثوري التي تحتضن جسد الإمام الحسين عليه السلام.. وليسيروا من نقطة الانطلاق نحو الأقطار والبلدان ينشرون بين الأمم والشعوب البلاغ الحسيني الذي يأخذ صيغة مجلس العزاء، أو المواكب الحسينية.. أو غير ذلك.. لكنه يهدف بالواقع تشكيل مجتمع النهوض العالمي الذي يريد أن يمارس كل سلوكية الجهاد والشهادة والسياسة لتوطيد أركان الحق، ممهداً الطريق لدولة الإسلام والإنسان العالمية والتي يعتقد أنها ستقوم بقيادة الحجة (عج).

الهوامش:

١- الحر العاملي : «تفصيل وسائل الشيعة» مؤسسة إحياء تراث آل البيت عليهم السلام، قم المشرفة، ١٤٠١، ج١٤ ص٥٠٢.

٢- القمي، جعفر: «كامل الزيارات» تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، قم، ١٤١٧، ص٢٠٨.

٣ - يقال رنة المرأة في نوحها، أي الصوت الحزين عند الغناء أو البكاء.

٤- لم يصبر على ما نزل به.

٥- الطوسي: «مصباح المتهجد» مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١، ص٧٧٢.

٦- يقول الشيخ الطوسي في كتابه المبسوط في فقه الإمامية، تحقيق محمد كاشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٢٨٧هـ، ج ١، ص ١٨٩ :

وأما اللطم والخدش وجز الشعر والنوح فإنه كله باطل محرم إجماعا، وقد روي جواز تخريق الثوب على الأب والأخ ولا يجوز على غيرهم وكذلك يجوز لصاحب الميت أن يتميز من غيره بإرسال طرف العمامة أو أخذ مئزر فوقها على الأب والأخ فأما على غيرهما فلا يجوز على حال.

٧- الصدوق: «من لا يحضره الفقيه» تحقيق علي أكبر غفاري، جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ، ج٤،ص٣٧٤.

٨ -الصوت الحزين عند الغناء والبكاء.

٩- م.س، ج٤ص٥.

١٠- الحر العاملي: «تفصيل الوسائل» م.س، ج٢ص٢٤٢ .

١١- الفراهيدي: «العين» تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٧، ج١، ص , , ٢١٧.

١٢- المعارج:٢٠-٢١

١٣- ابن منظور: «لسان العرب» دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ج ٨، ص٤٧.

١٤- إبراهيم:٢١.

١٥- الأصفهاني، الراغب: «مفردات ألفاظ القرآن الكريم»، م.س، ص ١٩٥.

١٦- الحر العاملي: «تفصيل وسائل الشيعة» م.س، ج٣، ص ٢٧٤.

١٧- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص٢٠٢.

١٨- الشيخ المفيد: «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت، ج٢ص٩٤.

١٩- النجفي، محمد حسن: «جواهر الكلام» تحقيق عباس القوجاني، دار الكتاب الإسلامي، الآخوندي، قم، ١٣٦٧هـ. ش، ج٤ص٣٧٠.

٢٠ - الحر العاملي «تفصيل وسائل...» م.س، ج١٤، ص ٤٠٥.

٢١-الطوسي: «مصباح المتهجد» م.س، ص٧٧٢.

٢٢ الكليني: «الكافي» م.س، ج١ص٣٤١.

٢٣- الطوسي: «مصباح المتهجد» م.س، ص٧٧٢.

٢٤- م.س، المعطيات نفسها.

٢٥- الطوسي: «مصباح المتهجد» م.س،ص ٥٤٤.

٢٦- م.ن، المعطيات نفسها.

٢٧- الجواهري: «جواهر الكلام» م.س، ج١٧ص١٠٧.

٢٨- الجواهري: «جواهر الكلام» م.س، ج١٧ص, ١٠٧.

٢٩- مسجد ضرار، هو مسجد بناه المنافقون للتآمر على الإسلام، وأوحى الله تعالى إلى نبيه بهدمه.

٣٠- تتحرك بقوة .

٣١ - توهين من وهن أي ضعف.

٣٢- «في بداية العاشر من المحرم يلبس البعض رداءً أبيضاً طويلا أشبه بالكفن ويخرجون جماعة ويضربون على رؤوسهم بسيوف قصيرة فتسيل الدماء من الرؤوس على الوجوه وعلى الثياب البيضاء، والبعض من الناس ينذر انه إذا تحققت رغبته أن يطبّر».

٣٣ - الطبرسي: «مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل» تحقيق مؤسسة أهل البيت لأحياء التراث، مؤسسة آل البيت، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ، ج١٠ص٢٢٢.

٣٤- المراد بالحائر ما دار سوى المشهد، والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه، لأن ذلك هو الحائر حقيقة،لأن الحائر في لسان العرب ، الموضع المطمئن الذي يحار الماء فيهس انظر كتاب السرائر للعلامة الحلي، جامعة المدرسين في قم١٤١٠هـ.

٣٥- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص ٤٥٦.

٣٦- م.ن، ص ٢٨٦.

٣٧- م. ن، ص ٤٦٠.

٣٨- الشورى:٢٣.

٣٩- الحر العاملي: «وسائل الشيعة» تحقيق عبد الرحيم الرباني اشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١٠، ص ٣٨٥.

٤٠- ابن قولوية : «كامل الزيارات» م.س، ص ٢٨٨.

٤١- ابن قولوية : «كامل الزيارات» م.س، ص ٤٦٢.

٤٢- المجلسي: «بحار الأنوار» م.س، ج٩٨،ص١٢٢.

٤٣- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص ٤٦١.

٤٤- دلك الحنك.

٤٥- الطوسي: «مصباح المتهجد» م.س،ص ٧٣٢.

٤٦- ابن قولوية:«كامل الزيارات» م.س، ص ٤٦٧.

٤٧- الحر العاملي:«وسائل الشيعة» ج ٢، ص ٢٠٨.

٤٨- شمس الدين: «ثورة الحسين» م.س، ص ٦٥.

٤٩- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص ٢٤٢.

٥٠ - م.س، ص ١٢٥ ١٢٦.

٥١- عن معاوية بن وهب دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلاه ، فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: . يا من خصنا بالكرامة ، ووعدنا الشفاعة ، وحملنا الرسالة ، وجعلنا ورثة الأنبياء ، وختم بنا الأمم السالفة وخصنا بالوصية ، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا ، اغفر لي ولإخواني ، وزوار قبر أبي (عبد الله الحسين بن علي) (صلوات الله عليهما) ، الذين أنفقوا أموالهم ، واشخصوا أبدانهم ، رغبة في برنا ، ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسرورا أدخلوه على نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) ، وإجابة منهم لأمرنا ، وغيظا أدخلوه على عدونا ، أرادوا بذلك رضوانك فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن، واعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافا عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله (عليه السلام) وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا. وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان ، حتى ترويهم من الحوض يوم العطش . فما زال (صلوات الله عليه) يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له : جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئا أبدا، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج . فقال لي : . ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته ؟ يا معاوية لا تدع ذلك. قلت: جعلت فداك فلم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله ، فقال: . يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض لا تدعه لخوف من أحد، فمن تركه لخوف رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان بيده، أما تحب أن تكون ممن يرى الله شخصك، وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ أما تحب أن تكون غدا ممن تصافحه الملائكة ؟ أما تحب أن تكون غدا فيمن يأتي وليس عليه يذنب فيتبع به ؟ أما تحب أن تكون غدا فيمن يصافح رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

راجع: مستدرك الوسائل، م.س،ج ١٠ ،ص٢٣١.

٥٢- شمس الدين:«ثورة الحسين» م.س، ص ٥٠.

٥٣- ابن قولوية:«كامل الزيارات» م.س، ص ٥٣٩.

٥٤- م.ن، ص٢٦٧.

٥٥- الكليني: «الكافي» م.س، ج٤ص٥٨٧.

٥٦- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص ٢٥١.

٥٧- المجلسي: «بحار الأنوار» م.س، ج٩٨، ص١٤٣.
٥٨- المجلسي: «بحار الأنوار» م.س، ج٩٨، ص٢٥٦.
٥٩- القتيل في الدم.
٦٠- العاملي: «وسائل الشيعة» م.س، ج١٤ص٥٥٦.
٦١- ميرزا النوري: «مستدرك الوسائل» م.س، ج١٠ص٣٥٤.
٦٢- م.س، نفس المعطيات.
٦٣- آل عمران:١٦٩-١٧٠.
٦٤- الطوسي: «مصباح المتهجد» م.س،ص ٧٧٢.
٦٥- القرشي،باقر شريف: «حياة الإمام الحسين عليه السلام» م.س، ج ٢، ص ٢٦٤: وهو من وصية الإمام الخالدة إلى أخيه ابن الحنفية، وقد تحدث فيها عن أسباب ثورته الكبرى على حكومة يزيد وقد جاء فيها بعد البسملة:«هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية، ان الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وإني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين. وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب».
٦٦- إبراهيم: ٥٢.
٦٧- يس: ١٧.
٦٨- الأنبياء:١٠٦.
٦٩- المائدة:٦٧.
٧٠- النساء:٦٣.
٧١- الأصفهاني، الراغب: «مفردات ألفاظ ...» م.س، ص ١٤٤.
٧٢- الرعد: ٧١.
٧٣- الأحقاف: ٣٥.
٧٤ - هود: ١١٢.
٧٥- الزمر: ٢٣.
٧٦- الطبرسي، حسين النوري: «اللؤلؤوالمرجان»، دار البلاغة، بيروت، د.ت، د.ط، ص ٤٠٢٩.
٧٧- سورة الزمر:٣٢- ٣٥.
٧٨- الكليني: «الكافي» م.س، ج٢ص١٠٤.
٧٩- م.س، نفس المعطيات..
٨٠- المجلسي:«بحار الأنوار» م.س، ج٧٥ص٢٨٤.

٨١- يقال لا يعض في العلم بضرس قاطع بمعنى لم يتقنه ويحكم أمره.

٨٢- هذا القول للإمام الخميني (قده).

٨٣ - ص:٨٦.

٨٤- الكهف: ١١.

٨٥- الإمام زين العابدين: «الصحيفة السجادية» تحقيق معهد المعارف الحكمية(للدراسات الدينية والفلسفية)، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، الدعاء٤٢.

٨٦- طه: ٤٤.

٨٧- آل عمران: ١٥٩.

٨٨- الأحزاب: ٣٩.

٨٩- الفتح:٢٩.

٩٠- الجن: ٢١- ٢٢.

٩١- الشعراء: ١١٤.

٩٢- الأنعام: ٥٢.

٩٣- الصدوق:«عيون أخبار الرضا» تحقيق الشيخ حسن الأعلمي،مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١،١٤٠٤هـ،ج٢ص, ١٥.

- الرقة أسلوب خاص في الإنشاد، فيه نغمة النياحة للإبكاء.

٩٤- ابن قولوية: «كامل الزيارات» م.س، ص٢٠٨ .

٩٥- مجموعة من الرواة: «الأصول الستة عشر» دار الشبستري، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص٥١.

الفصـــل الثـــالث

الشعائر الحسينية بين الجداليات والمشروع النهضوي لنهج الإمام الخميني (قده)

الشعائر الحسينية بين الجداليات والمشروع النهضوي لنهج الإمام الخميني (قده)

يعدُّ هذا الفصل، الفصل الأخير للكتاب... ونحن لا نريد فيه إبراز الاختلاف حول الشعائر، بقدر ما نريد التأكيد على أن الشعائر تمثل الثابتة التي لا يختلف أحد في شرعيتها وضرورتها... إلا أن الاختلاف إنما وقع في مشروعية أو صلاحية بعض المراسم المتبعة لإقامة وإحياء الشعائر الحسينية... وبالتالي فإن الاستغراق في الجدال حول هذه المراسم، هو اختلاف في وجهات النظر الثقافية... أكثر مما هي اختلاف في الموقف الديني من هذا الأمر أو ذاك...

لذا فإننا رأينا أن تجربة جديدة في التعاطي مع إقامة وإحياء الشعائر الحسينية أخذت منحاها مع الإمام الخميني(قده)؛ مما يدعونا إلى دراسة قواعد ومرتكزات هذه التجربة النهضوية الجديدة... وهذا ما سيعمل القسم الأخير من هذا الفصل على الشروع به... آملين أن نوفق فيما بعد إلى دراسة واقع هذه التجربة في إيران ولبنان وغيرهما... وما هي التطورات التي لحقت بها؟ وما هي آفاق النهوض التي فتحتها؟، ولكن حتى ذاك الوقت؛ فإننا سنتناول ثلاثة اتجاهات في قراءة المراسم العاشورائية، وهي: اتجاه الجدل الاجتهادي... والاتجاه الثاني هو الاتجاه الثقافي... أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه النهضوي الذي يمثله نهج الإمام الخميني(قده) وولاية الفقيه...

-I-

الاتجـــاه الأول :

تقوم وجهة هذا الاتجاه على أساس أن الشعائر الحسينية قد وردت في النصوص الدينية، وجاءت تحت عنوان إحياء الأمر. وملاك هذا الإحياء يقوم على تجييش عاطفة ووجدان العلاقة مع الحسين عليه السلام وآل البيت(ع)، بالحزن والأسى .. بحيث يتحول هذا الإحياء إلى ارتباط مبنيٌّ على الحب للحسين عليه السلام، والآل الأطهار...

ويعتبرون أن بعضاً من تلك الشعائر قد ورد ذكرها في النصوص الدينية، من مثل البكاء والتباكي، والزيارة، وغير ذلك وبين ما تُرك أمر تحديدها لابتكارات الناس الموالين في أساليب التعبير عن عواطفهم وحبهم وحزنهم وشجونهم. وبعض هذه الأساليب قد تكون مما ورد المشابه لها في المسيرة الحسينية بكربلاء أو بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام؛ من مثل اللطم، والجرح، والتفجيع وغير ذلك...

وبعضها الآخر قد لا يكون مما ورد ذكره أو الإشارة إليه أصلاً؛ من مثل التمثيلية والمواكب وغير ذلك، وأحياناً يحصل النقاش الشرعي فيما يتعلق بما ورد ذكرهُ إشارة في السيرة، من مثل التفجُّع...

أما ما لم يرد له ذكر من مثل التطبير وجلد الجسم، فهو الذي جرى فيه نقاش مستفيض؛ في كونه هل يمثل أذية لمشاعر المسلمين وغيرهم؟

وهل هو خارج إطار الصياغة الحضارية للأساليب التي يمكن أن يمارسها المحيون للمراسم والشعائر؟!

وهل في ذلك اقتداء بأساليب وقيم غير إسلامية؟ أم أنه عبارة عن قيم تمثل الخصوصية الإسلامية، وهو ما لا يمكن التخلي أو الإعراض عنه؟ وإلا، فإن محذور الانزلاق إلى التخلي عن أصل قيمنا وهويتنا سيكون واقعاً يتعرض له الشيعة ولو بعد حين...هذا في أصل النقاش الحاصل بينهم،... والذي أولا

هو يقع في المراسم، لا في الشعائر، وهو نقاش خليط بين الفقه، وتقدير صلاحية العمل والممارسة الإجرائية للمراسم العاشورائية.

الأصـل الشـرعي للمـوقف المـوافـق:

يرتكز موقف المتبنين لأشكال المراسم الشعائرية الحسينية على أصالة الحلية: «إذ من المعروف أن الأمور كلها على الإباحة ما لم يرد الدليل الدال على أن للمورد حكماً خاصاً به.. وعلى هذا الأساس نقول: إن من يدَّعي حرمة هذا اللطم المؤلم، أو ضرب السلاسل وجرح الرؤوس، فعليه أن يأتي بدليل، لننظر فيه»[1].

فبناء على القاعدة الأصولية المستندة إلى قول المعصوم: «أن كل شيء حلال حتى تعرف أنه حرام بعينه فتتركه[2]؛ فإن تحريم أي موقف أو أي مسلك، هو الذي ينبغي أن يُقدَّم عليه الدليل... وبالتالي؛ فالنقاش لا يكون بأصل حلية هذا العمل أو ذاك، بل عدم حليته هو الذي يحتاج الى دليل...

والدليل هنا، قد ينقسم إلى دليل نصيٍّ، أو دليل شرعي مبني على أصل عملي، أو أخلاقي...

وهذا ما سيستدعي التوسعة في النقاش، الذي قد يسوق أحياناً إلى نحو من المساجلة.. خاصة إذا وجد من يعتبر في بعض المراسم من مثل ضرب الرؤوس وجرحها بالمدى والسيوف، وضرب الظهور بسلاسل الحديد محرم: «وتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل»[3] ويستندون إلى قول الرسول(ص): «جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء»[4] مما يجعل الاختلاف في المواقف مبنياً أحياناً على شيء من التشاحن والاتهام المتبادل... خاصة أن أصحاب هذا الموقف أو ذاك رهنوا الأمر إلى جانبين:

الجانب الأول: هو تحقيق المقصد من خلال ممارسة الأسلوب، ومما لا يخفى أن الوصول إلى الاتفاق على إيصال الأسلوب لتحقيق المقصد لا يتعلق بقواعد ومبادىء واضحة ومحددة، بل هو مبني على نمط معين من فهم

الباحث في العلاقة والصلة بين المقصد والأسلوب. وحسب تقصيه للأسلوب من حيث مصدره ودلالاته ومدى قبوله النفسي والذهني به.. بل وبحسب طبيعة المضمون الثقافي، والاهتمامات الثقافية عند هذا الباحث أو ذاك. فهل التطبير مثلاً يمثل حالة حزن أم أنه تعبير عن موقف عنفي من الذات أو من الآخر؟.

وهل تمثيل شخص بشخص آخر، أو اللطم وصفع الوجه وضرب القامات يُعدّ من حالات العاطفة والحب والحزن؟

. أم أنها من الأساليب المستوردة التي ينبغي أن نتخفّف منها؟ بل أن نتركها؟ كما يذهب بعضهم-؛ لأنها لا تمثل أصالة الموقف والقيم الإسلامية؟

هذه أمورٌ تحتاج بالواقع إلى متابعة لها جنبة ثقافية وفكرية أكثر مما هي مسألة فقهية أو شرعية، إذ أن الموقف الشرعي سيتحدد على ضوء هذه الجوانب الثقافية، ومدى تأثيرها في المسلك الإسلامي..

الجانب الثاني: اعتبار أن تحقيق الأسلوب للغاية، أو عدم تحقيقه. وأن الأسلوب هل يمثل انحرافاً أو توهيناً بأصل المقصد، إنما يعود لاقتضاءات محكومة بتغير وتبدل الأحوال، والأزمان، والأمكنة..: «إن جرح الرؤوس، وضرب الظهور بالسلاسل، قد يختلف الحكم فيه بحسب الأحوال، والأزمان، والأمكنة، فيكون مورداً للاحكام الشرعية الخمسة:

(الإباحة، والوجوب، والاستحباب، والكراهة والحرمة)، فقد يكون هذا العمل مستحباً هنا ومكروهاً هناك، وقد يكون واجباً هنا ومحرماً هناك»(٥).

وهكذا فقد توقف الحكم على حسب تشخيص حيثيات الموضوع.. ومثل هذا التشخيص يتعرض غالباً لاختلافات في التقييم لا حصر لها...

انطلاقاً من وجهة نظر المدافعين عن إقامة المراسم الحسينية أو الرافضين، فإننا نعتبر أن هذه الوجهة لو لاقت أرضية تربوية عند المتلقين لها، تقبل الاعتراف بالتنوع والتعدد والرأي الآخر.. فإنها في الوقت الذي ستثير فيه عاصفة من النقاش والتقييم، إلا أن مثل هذه الأرضية التربوية ستشكل ضمانة

لكي لا يتحول التعدد والتنوع إلى خلاف وصراع على الآراء.. وإلى اتهامات تشوّش حق التعبير وتقديم وجهة النظر....

ونقول هنا : عاصفة من الاختلاف؛ لأن أصحاب هذا الموقف يذهبون للقول:«إن على الفقيه أن يطلق الحكم، والمكلف هو الذي يمارس تطبيقه؛ فالمفتي يقول: أقيموا شعائر الله، أحيوا أمر أهل البيت (ع)، بطريقة ليس فيها مهانة للدين، والمكلف هو الذي يختار أسلوب وكيفية التطبيق في نطاق قدراته وثقافته، وتصوراته وقناعاته، شرط أن لا يعتمد الوسائل المحرمة، وأن.لا تكتسب الكيفية التي يختارها عناوين مبغوضة ومرفوضة»(٦).

فإيكال الأمر إلى المكلف، حتى ولو مع ضوابط من مثل عدم حرمه الوسيلة، وعدم اعتماد عناوين مبغوضة ومرفوضة.. فإنه ما زال ضمن الدائرة الموسعة في حق الاختلاف والتعدد، وفتح المجال واسعاً أمام إمكانية الوقوع في حدَّة الموقف من كل طرف تجاه الطرف الآخر خاصة إن نزعنا دور الفقيه في ممارسة حاكميته الولائية لتحديد الموقف من أمر بمستوى طريقة التعاطي مع إحياء الشعائر الحسينية.

اللهم إلا إن كانت الأطراف ؟ -كما سبق وأن أسلفت- محصَّنة بثقافة ورؤية الاعتراف بالآخر المختلف.. ومؤمنة بحق حرية التعبير عن التفكير الذي يتم فيه تشخيص الموقف تجاه هذه الحالة أو تلك.. وهذا ما سيؤهل الجميع لفتح آفاق من البحث الجدي عن تطوير آليات وأساليب تحقيق المقصد والهدف المرجو من إحياء شعائر عاشوراء ومراسمها، امتثالاً لما جاء عن آل العصمة(ع): «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»(٧).

«حيث تركت لكل إنسان، الحرية في اختيار الأسلوب والطريقة التي تناسبه، بشرط أن يكون ذلك وفق أحكام الشرع،وحيث لا يصاحب ذلك أية مخالفة أو إساءة، فإنه لا يطاع الله من حيث يعصى.. فالإنسان هو الذي يختار كلٌ حسب حاله، وظرفه، وخصوصيته...

وإذا كان ثمة من تحفظ، فإنما هو في الموارد التي يلزم فيها عكس ما قصد منها... كالموارد التي تؤدي إلى صد الناس عن الحق.. وتضييع فرصة الهداية عليهم»[٨].

وواقع الأمر أن الذين ناقشوا بعض المراسم، فإنما ناقشوها بالغالب، من باب كونها تشكل سبباً للنفور من الدين... وصداً عن الهداية، واعتبروا أن الأمر يحتاج إلى مواقف شجاعة في مواجهة المد الشعبي الذي يتبنى بعض هذه المراسم من جهة.. وإلى نحو من الحكمة في التزام مراسم تشجع الرأي العام الإسلامي، وغير الإسلامي على احترام مذهب أهل البيت (ع).. وذلك من خلال مضمون ما يُقدَّم في كربلاء من مضامين قد تتجاوز في بعضها الحدود الشيعية المذهبية: «ولذلك حرمنا- من موقعنا الفقهي- على كل إنسان أن يرفع أي شعار يثير الحساسيات المذهبية... لأننا نريد أن ننطلق جميعا من أجل قوة الإسلام»[٩].

وهذا التبرير رأى فيه الملتزمون لتلك الشعائر وقوعاً في منزلقين خطيرين:

المنـزلـق الأول: أنا لو أردنا الخضوع للجو الضاغط الذي يثيره الناس من حولنا، فإنا علينا أن نتوقع مطالبتهم لنا بالخروج عن ديننا إلى دينهم؛ إذ ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[١٠]إذ حسب رأي هؤلاء، فإن الذي يتنازل عن أمور يعتقد بها؛ مهما صغرت، فإنه سيكون قابلاً للتنازل عن ما هو أكبر منها..

ثم إن الآخرين الذين يعترضون على مسألة من مثل إقامة المراسم، قد يتجرأون يوماً فيطالبون مثلاً بإلغاء بعض الأحكام الشرعية، من مثل: رجم الزاني المحصن، أو قطع يد السارق وغير ذلك..

المنـزلـق الثاني: إننا بدل أن نعمل على تعميم نموذجنا القيمي، فإننا بذلك نخضع لنماذج قيمية لا نرتضيها، وهذا ما فيه صدٌ عن سبيل الوصول إلى تعميم ثقافتنا وخصوصيتنا المسلكية...

فلماذا لا نعمل مثلاً على أن يلتزم؛ الرافضون للشعائر العاشورائية؛ مشاركتنا بإقامتها، بدل أن نتخلى نحن عنها؛ وخاصة أولئك الذي يتحدثون عن الوحدة الإسلامية.. فإذا كنا جميعاً نؤمن بأن إقامة الشعائر الحسينية هي وجه من وجوه الرفض للظلم، وهي التزام بإقامة قيم العدل فلماذا لا يلتزم معنا، الراغبون بالوحدة الإسلامية تلك الشعائر إذاً...؟!

هذا على المستوى العلمي،.. أما على المستوى التربوي ؟ النفسي- فإنا علينا الارتباط بالعلاقة مع الله وآل البيت (ع) دون أن نتأثر بكل الضغوط؛ لذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام «إذا أردت أن تعلم، أن فيك خيراً، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل، ويبغض أهل معصيته، ففيك خير، والله يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته، ليس فيك خيراً، والله يبغضك، والمرء مع من أحب»(١١).

فالأصل إذاً هو الحب في الله، والبغض في الله.. وأي ميل نفسي لغير هاتين القاعدتين، فإنه يمثل انحرافاً عن دائرة الالتزام العقائدي والأخلاقي والقيمي..

لكن، والحق يقال: فإن هذه الوجهة من النظر، رغم ما تحمل من قيمة في الثقة بالدين وبالتراث وبالهوية، وهي ثقة مطلوبة لأي مسار ديني يتحرك في دائرة الحياة سواءً على المستوى الاجتماعي أم الحضاري.. إذ بدون مثل هذه الثقة لا يمكن لنا أن نقدم نموذجنا وقيمنا وديننا وإنساننا... هذا ومما لا شك فيه أن الانجراف في الميل نحو تحسين صورتنا أمام الآخر سوف توقعنا في فراغ الهوية وغشاوة النظرة إلى الذات والآخر؛ بحيث قد تجعل من الذات مسخاً يعمل على مشابهة الآخر...

إلا أن النقاش لا ينبغي أن يكون في هذه النقطة بالتحديد، بل النقاش هو في كيفية تقديم الذات كما هي، بطريقة تجعل لدى الآخر إقراراً واعترافاً بأحقيتها، وهذا الأمر لا ينحصر بالجانب المتعلق بالمراسم العاشورائية فقط،

بل هو من الأمور المرعية حتى في الحجاج العقائدي والقانوني والرسالي عامة.

فالمسألة إذاً هي في كيفية تقديم الأصل..

وليست في اعتماد هذا الأصل..

هذا، ولا يصح أن نخلط بين الأصل الذي عليه كانت عاشوراء، ولأجله كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وبسبيله جاءت المراسم والشعائر بهدف إحياء أمر آل بيت محمد (ص)..

وهذا الأصل يتمثل بالهداية لصراط الله المستقيم، عبر الارتباط بوثيق الحب لمحمد وآل محمد (ص) بما هم باب الله الذي منه يؤتى.. وبعاطفة تفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم، بحيث تتحول حياة الفرد والجماعة الموالية إلى فجيعة، بسبب الفجيعة الكبرى التي أصابت آل رسول الله (ص) بمصابهم بأبي عبد الله الحسين عليه السلام إلا أنهم يلتزمون رغم كل هذا الحزن والحب .. وعي الرسالة وطموحها بالمستقبل الذي أسس مداميكه آل البيت (ع).. بحكمة مواقفهم وعلمهم وقيمهم .. وبالأساليب التي انتهجوها ليرسموا فيها ومن خلالها درب الوصول إلى الله سبحانه، عبر التأكيد على مبدأ «التدبير» و«المراعاة»، والدعوة ﴿**بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(١٢).

لا ينبغي الخلط بين هذه الأصول الآنفة الذكر، وبين الأسلوب الذي تمثله المراسم العاشورائية كتعبير حر من قبل الملتزمين خط الولاية، وصولاً لتحقيق هدف (الأصل). فما أكثر ما وقع الناس بالخلط بين الأصل والأسلوب بحيث جعلوا من الأسلوب هدفاً وغاية اكتفوا فيها أحياناً عن المبدأ، فظنوا أنهم بالتزامهم بتلك الأساليب يكونون قد حققوا تمام المراد والمطلوب من عاشوراء... وهذا ما ولد العديد من التيارات الضالة.. وهو ما أظن أن أصحاب التأييد الشرعي للمراسم العاشورائية نبهوا إليه تحت عنوان مراعاة الحكم الشرعي.. ثم إن البعض أيضا خلطوا بين الدراية وحسن التدبير في الوصول

نحو الهدف، والهدف نفسه بحيث إنهم قدَّموا أسلوب التدبير والدراية والمراعاة على نفس الهدف، فجعلوها وكأنها هي المقصد فوقعوا في تيه[١٣] التراخي والاستسلام لأي إشكال يأتي من هنا أو هناك، وهذا ما مثل ظاهرة الثقافة الصحافية في دراسة المظاهر العاشورائية.

وإني اعتقد أن لا الجهة المثيرة للإشكالات حول بعض المراسم من منطلق المسؤولية الشرعية والرسالية، ولا المدافعين عن تلك الشعائر والمراسم من منطلق المسؤولية الشرعية والرسالية؛ هم بصدد الوقوع بهذه الخفة في التعاطي مع الأمور؛ إذ الجهتان يؤيدان منطق أن إقامة الشعائر الحسينية فيه جزيل الأجر، ووفير البركات إذ **﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**[٤١].

لكن يبقى كيف يمكن أن يتم التأسيس لمراسم تحيي تلك الشعائر بالشكل المطلوب؟ وهذا ما يمكن أن نلاحظ فيه الأمور التالية:

أولاً: إن الحياة الدينية عند الناس فيها ما هو ثابت وغير قابل للنقاش والتغيير، كالفرائض؛ من مثل الصلاة والصيام والحج والجهاد والحدود وغيرها.. وفيها ما هو يتبدل في أثناء تأدية هذه الفرائض وسبل الوصول نحو تحقيق قيامها؛ فالأغراض الخاصة اليوم بتأدية الصلاة من مثل ثياب الصلاة للمرأة، وكيف نحفظ السجدة، والإناء الذي منه نأخذ ماء الوضوء للصلاة.. كلها أمور قابلة للتغير والتبدل إلا أن الصلاة تبقى هي الصلاة.. فلا يصح منا حينما نناقش في الأدوات أن نرفض النقاش حولها؛ تحت حجة أننا بذلك نتحضر لرفض أصل الفريضة، إذ شتان بين الأمرين.. وكذلك حينما نتحدث عن المراسم الخاصة في إقامة الشعائر الحسينية، لا يصح أن نعتبر أن النقاش في المراسم من مثل التطبير، وبعض التعابير المستخدمة في أثناء الإحياءات العاشورائية، ستؤثر في أصل إقامة الشعائر الحسينية. إذ فارق بين مراسم إقامة الشعائر، وبين الشعائر نفسها..

ثانياً: إن هناك إجماعا إسلاميا، وإنسانيا، بأن الشعائر الحسينية تحمل كل محفزات النهوض الإسلامي القائم على ضرورة توحد المسلمين والمستضعفين في مواجهة قوى الظلم والجبروت في العالم.. وفي هذا الإطار لا مساومة على أي حرف من البيانات العاشورائية، .. لكن هناك أيضاً خصوصيات أنتجتها عصور من الثقافات المتعددة في أساليب إقامة بعض المراسم الخاصة بالشعائر الحسينية، والتي ساعدت، ولا أقول أنتجت خلافات في الوسط الإسلامي؛ لا داعي لها.. وهنا أقول «ساعدت»؛ لأن بعض التصرفات التي صدرت من أوساط غير شيعية لعبت دورًا كبيرًا في تحفيز الوجدان الشيعي على إطلاق ثقافة حفظ الذات ورفض الآخر غير الشيعي؟ ومن أمثلة هذه الجهات الثقافة الوهابية، وسلطات مرت في الحكم الإسلامي نكّلت بالشيعة... واليوم نحن أمام منعطف تاريخي للتخلي عن مثل هذا التشاحن الثقافي وتهيئة المناخ نحو تعميم أهداف الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، والتي تقوم على مبدأ توحيد الله كأصل ومنطلق ومسار لتبديل الحياة الجاهلية، إلى حياة ننشر فيها قيم النور والحق والعدل...

ثالثاً: علينا الحذر من العودة القهقرى نحو فترة زمنية وقع الخلاف فيها في الوسط الشيعي نفسه، بفعل اختلاف الآراء تجاه مسائل لها علاقة بالمراسم؛ لا الشعائر، العاشورائية.

والتي أدت فيما أدت اليه إلى شتم متبادل بين أنصار هذه المرجعية، أو تلك.. مما أوصل الأمور الى تفسُّخ حجب بينها.. وبين الناس الذين تلهوا بمثل هذا التشاحن واستغرقوا فيه، بعيداً عن قيم الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.. ولعلنا لا نشيع سراً حينما نورد أن السيد مهدي البصري (ت ١٣٥٨هـ) كان قد بدأ حملةً من الانتقادات على المراسم العاشورائية، في صحيفة (الأوقات) ثم ألف رسالة في ذلك أسماها «صولة الحق على جولة الباطل».

ثم قام السيد محسن الأمين بتأييد آراء السيد مهدي البصري بالصحف البيروتية.. مما دفع الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (١٦٣١هـ) لمناقشة هذه الآراء في كتاب أسماه «سيماء الصلحاء»، وشجّع فيه إقامة المراسم خاصة مسألة التطبير...

وهذا ما استلزم من السيد الأمين أن يرد على الشيخ برسالة «التنزيه»، وبالتحديد بمسألة التطبير الأمر الذي جعل كلا من السيد الأمين، والشيخ عبد الحسين صادق.. محورين لكل واحد منهما مؤيدوه من المراجع ومن الناس.

ونذكر من الذين خالفوا السيد الأمين، المرجع الديني الكبير الميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ).

والمرجع الديني الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) وغيرهما كثير...

أما من المراجع الذين أيدوا السيد محسن الأمين في تحريم التطبير.. المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني (٥٦٣١ هـ) وغيره من المراجع... هذا بالإضافة إلى أن أصحاب القلم قد انقسموا آنذاك بين مؤيد ومعارض لتحريم التطبير...

بل إن المسألة سرت إلى الخطباء.. وبعض هؤلاء؛ وهو السيد صالح الحلي يصل به الأمر إلى أن يقول في السيد الأمين شعراً :

يــا راكبــاً أمــّا مــررت بـ (جلّقِ)[15]

فــأبصق بوجــه أمينــها المتزنــدق.

بل صار البعض ينعت من يؤيدون السيد محسن الأمين، بالأمويين، وبلغ الانحدار أن سقاة الماء في المآتم الحسينية، يوم عاشوراء، أخذوا يرددون «لعن الله الأمين... ماء»[16].

بينما كانوا قبل ذلك يقولون: «لعن الله حرملة ماء» فأبدلوا مكان «حرملة»[17] «الأمين»..

وهكذا ضاعت الأهداف الإحيائية لأمر الدين، والمقاصد النهضوية الحسينية التي تحملها الشعائر الحسينية، بفعل الاستغراق في نقاشات تتعلق أساساً بمراسم إقامة الشعائر، لا بالشعائر نفسها.. إلا أن لغة الجدال الحاد والاتهامات الجزافية هي التي أوصلت إلى عصبيات في الموقف، أودى بكل الأهداف التي تحملها الشعائر أساساً في هذه الفترة الزمنية المريرة، التي ندعو الله أن لا تعود مجدداً..

علماً أننا لو حاولنا دراسة الأسباب والدواعي التي شكلت خلفية الشعائر الحسينية.. ومن أساليب وأقوال اعتاد الناس على استخدامها في عاشوراء.. لوجدناها أسباباً ودواعي تنطلق من نية وخلفية حريصة على الإسلام.. ومصالح المسلمين.. فمن ذلك مثلاً أن السيد الأمين ولأسباب تتعلق بتقييمه للموقف وظاهرة المراسم، لاحظ أموراً أوردها في رسالة «التنزيه» منها:

١- إن بعض ما يُنقل في قراءة السيرة الحسينية فيه كذب، والكذب فضلاً عن كونه حراماً، فهو لا ينسجم أصلاً مع قيمنا الإسلامية والإنسانية..

٢- إن بعض الوسائل المستخدمة فيها تلحين وآلات عزف هي أقرب للغناء المحرَّم..

٣- إن التطبير، والضرب بالسيوف والسلاسل فيه إيذاء للنفس... وهو لا ينسجم مع القيم الإسلامية..

٤- تشبُّه الرجال بالنساء أثناء التمثيل، وصياح النساء بمسمع من الرجال، وبعض التصرفات الأخرى أيضا هي مرفوضة...

هذا، وفضلاً عن تقييمه الشرعي لحرمة هذه الأمور، وهذا بالنتيجة رأيه الاجتهادي؛ فإنه ينطلق في موقفه من تحليله للموقف العام الذي يتلقى هذه الأمور بطريقة سلبية، مما يضعنا أمام حرج «التوهين» في الدين.. وهذا ما لم يقبله أمثال السيد محسن الأمين..

إلا أن المشكلة مع السيد الأمين كانت في حدة معارضته لهذه السلوكيات؛ إذ

يعتبر أنه «قلما تكون عبادة من العبادات، أو سنةٌ من السّنن لم يدخل فيها إبليس وأعوانه ما يفسدها..

فمن ذلك إقامة شعائر الحزن على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، التي استمرت عليها طريقة الشيعة من عصر الحسين عليه السلام إلى اليوم.. ولما رأى إبليس وأعوانه، ما فيها من المنافع والفوائد، وأنه لا يمكنهم إبطالها بجميع ما عندهم من الحيل والمكائد، توسلوا إلى إغواء الناس بحملهم على أن يدخلوا فيها البدع والمنكرات، وما يشينها عند الأغيار»(١٨).

ولا يخفى ما في هذه اللهجة من تشنيع على من خالفه الرأي بخصوص مراسم إقامة الشعائر وهنا تكمن المشكلة عند هذا الطرف أو ذاك، وإلا فالجميع متفقون في المنطلقات والمقاصد. أما الآراء والأحكام فالاختلاف فيها حق مشروع كما لا يخفى.. لذا فما نحتاج إليه بواقع الأمر هو علاج ما يتعلق بطريقة التعامل مع مثل هذه الأمور:

والذي نقترحه فيها.. أن يعود أمر تحديد الموقف التدبيري والعملي لكل هذه الإحياءات، ومراسم إقامة الشعائر الحسينية، أو ما يماثلها، إلى الولي الفقيه.. لما في مثل هذه الأمور من حيثيات بعضها فقهي، وبعضها سياسي، وبعضها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنشر وتبليغ معالم الإسلام والوجه الحضاري للمسلمين وهذه من الأمور التي لا بُدَّ من توحيد الموقف فيها، في الوقت الذي لا يعني هذا الكلام أنه لا يوجد للفقهاء والعلماء والمفكرين، من دور وحق في أن يكون لهم رأيهم.. إلا أنها آراء تطرح من أجل الوصول إلى النتيجة المتوخاة من صلاح أمور الناس، وإحياء أمر الدين، ونشر معالم النهضة الحسينية المباركة. والتعدد والعناية في التفكير وطرح الآراء وعرضها ينبغي أن يبقى مفتوحاً، إلا أنه منضبط بولاية الفقيه.. وهذا يعني فيما يعنيه أن نعمل على إنشاء حركة تبليغية ترتبط بالحوزة العلمية، وبالمؤسسات التبليغية بإشراف الولي الفقيه وتوجيهاته، لتركيز معالم مؤسسة ثقافية مرنة تدير شؤون الإحياءات، والمراسم

الشعائرية العاشورائية ويلتقي فيها أهل الاختصاص، والاهتمام والدراية بالشأن الإسلامي العام، ليتبادلوا وليقدموا بين يدي الولي الفقيه ما ينشر رايات النهوض الإسلامي في الأقطار، فيعمل على توحيد كلمة المسلمين.. وتقوية كل عناصر القيم الرسالية في حياتهم لمواجهة مشاريع الباطل، والغزوات الثقافية والفكرية والحضارية التي تخترق عمق القيم الإسلامية..

الاتجاه الثاني:

وهو اتجاه يحترم إقامة الشعيرة الحسينية، ويعتبرها إحياءً لأمر الحق والعدل الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام، وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام..

لكنه يذهب لمتابعة الأشكال التي يتم فيها التعبير عن الموقف، من موضوع القضية الحسينية العاشورائية.. وسنتناول هنا علي شريعتي كممثل عن هذا الاتجاه لنثير النقاش معه من ثلاث زوايا:

أولا: الزاوية السياسية: الزاوية السياسية والتداخلات التي وقعت بين قيم الإسلام الحضارية والقيم الخارجة عن الإسلام . كما رآها علي شريعتي في حديثه حول «الإسلام الصفوي». إذ ذهب للقول تحت عنوان (الإفرنجي في كربلاء): «من القضايا الواضحة وجود ارتباط بين الصفوية والمسيحية لمواجهة الإمبراطورية العثمانية»[١٩].

واعتبر أن من وجوه هذا التعاون السعي إلى تسويغ العلاقة بينهما دينياً. فعمل الصفويون على إقحام شخصيات مسيحية في التمثيلية العاشورائية؛ بإدخال رجل (كرواتي) يتأثر بالمناخ الحزين فيقتحم المكان ببدلته الأنيقة ويهاجم معسكر يزيد وأنصاره، ويواسي الحاضرين بأجمل المواساة.[٢٠]

ومن هذا المشهد يستنتج شريعتي أن الأمر في إحياء المراسم لم يكن بقصد ديني بل بسبب التوظيف السياسي. دون أن يلتفت إلى حيثيات دلالة مثل هذه المشاركة، التي قد تُعبِّر عن الرغبة بإظهار؛ أنه حتى الذي ليس من دين

الحسين عليه السلام، يتأثر إنسانياً بما حصل في الملحمة العاشورائية... وهذه الدلالة رافقت جملة من الأحداث إبتداء من نفس واقعة كربلاء إذ نَصّرَ أحد النصارى الإمام الحسين عليه السلام، مروراً بالراهب الذي هاله ما رأى من مشهد الرؤوس والسبايا.. والراهب الذي قيل أنه لازم الرأس ليلةً كاملة في قصر يزيد وغير ذلك.. اللهم إلا أن يعتبر شريعتي أن في مثل هذه الأحداث أيضا توظيفاً سياسياً...

خاصة أنه لا يكتفي بالقول إن هذه المراسم تجري بإرادة سياسية، بل هو يحيل سر انتشارها إلى مثل هذه الإرادة السياسية. رغم مخالفة العلماء لها حسب دعوى شريعتي..

إذ يقول: «وقد بلغت هذه المراسم من القوة والرسوخ بحيث إن كثيراً من علماء الحق لا يجرؤون على رفضهم لها، ويلجأون إلى التقية في هذا المجالس»(٢١)؛ مما يعني أن اعتباره للجانب السياسي أو بمعنىً أدق؛ التوظيف السياسي، كان طاغياً في تحليله لمنشأ إقامة المراسم الحسينية، وسرعة انتشارها، وهو يرى في ذلك مجابهة بين الدولة الصفوية من جهة، والدولة العثمانية السنية من جهةٍ أخرى. تغلفت بغلاف المراسم العاشورائية بطريقة تحريضية ضد الدولة العثمانية السنية. ولتأكيد تحليله ورفع ما يمكن أن يخطر ببال الباحث في الموضوع عن سر موافقة علماء الدين. علماً أنهم هم ضمانة حفظ قيم الدين، وكاشفو شرعية الممارسات الدينية.. فإنه، أي شريعتي، قد استدرك ليشير أن العلماء الحقيقيين يرفضون هذه المراسم، وما سكوتهم عن إقامتها إلا من باب التقية؛ ذلك أن الوجدان الشعبي عند الناس يتأثر بها بشكل واسع.. والمفارقة هنا أن شريعتي لطالما كان ينهال بالنقد على رجال الدين ناصراً الجماعات الشعبية، والتزاماتهم، إلا هذه المرة فإنه تخلى عن مثل هذا الموقف... واتخذ جنبة الدفاع عن رجال الدين، مؤكدا رفضهم لهذه المراسم، وأن سكوتهم لا يمثل رضاهم، بل هم بالحقيقة رافضون لها في قرارة أنفسهم،

المخفية عن علم الناس إلا عن شريعتي؟!!

ثانياً: الزاوية التاريخية: إذ رأى فيها شريعتي أن الشيعة الذين عاشوا الحرمان بألوانه وصنوفه ولم تُتح لهم ظروف من الحرية في التعبير عن مكنون نفوسهم، وهو ما وجد فيه الصفويون ضالتهم، فعملوا على فتح كل منافذ التعبير الفجائعي بالمراسم العاشورائية ولقد عملوا لتطوير ذلك على استحداث منصب وزاري باسم «وزير الشعائر الحسينية»، وقام هذا الوزير بجلب أول هدايا الغرب لإيران... وذلك في غضون القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان هذا أول تماس حضاري بين إيران والغرب.. إذ ذهب وزير الشعائر الحسينية إلى أوروبا الشرقية، التي كانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض؛ وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية، والطقوس المذهبية، والمحافل الاجتماعية المسيحية، وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك ... حتى أنماط الديكورات التي كانت تُزيَّن بها الكنائس في تلك المناسبات، واقتبس تلك المراسيم والطقوس، وجاء بها إلى إيران؛ حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية، وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى بالتالي، إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفولكلور الشعبي الإيراني، ولا في الشعائر الدينية الإسلامية، ومن بين تلك المراسيم: النعش الرمزي، والضرب بالزنجيل والأقفال، والتطبير، واستخدام الآلات الموسيقية، وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية[٢٢].

ويرى أن القبول بمثل هذه الإجراءات المستوردة جاء نتيجة أمور منها:

أ- الفراغ الذي كان يعيشه الشيعة بسبب قلتهم، ومستوى وعيهم، وظروفهم السياسية وضعف تنظيمهم ... الأمر الذي سمح لمثل هذه الاقتراحات من

المراسم أن تملأ فراغهم.

ب- المشابهة بين الحدث الاستشهادي للإمام الحسين عليه السلام ومن كان معه، بالحدث الاستشهادي عند المسيحية الأولى.. وجهل عامة الشيعة بدلالات بعض أشكال تلك المراسم هو الذي أذن بسرعة تبنيهم لها..

ت- إثارة عبارات حماسية وعاطفية تواكب المراسم؛ من مثل الهتاف باسم علي والزهراء والحسين عليه السلام.. والتركيز على ثقافة العاطفة. ولقد اعتبر أن منشأ هذه اللغة هم المتصوفة...

«وواضح جداً أن هذه اللغة هي لغة التصوف، وأن المشاعر والأحاسيس هي مشاعر غلو، وإفراط، نجمت عن أعمال الدراويش ومبالغات الخطباء والشعراء[٢٣].

وهذه الحيثيات التي تناولها شريعتي تكشف عن مواقف له تجاه جملة أمور منها:

١- رفضه لظاهرة التصوف المفضية إلى غلو في الموقف من الأئمة، بحيث إنه يعتبرهم المصدر لإسقاط صفات الألوهية على الأئمة... وهو ما أسس لتيارات وجماعات، ثقفت الأمة بثقافة الاستهتار بالقضايا الإسلامية الكبرى العاملة على نهوض الأمة، عبر تبرير الذات؛ بحيث صارت الذات مبرأة من كل مجازاة وخطيئة طالما، أنها تنتمي بإيمانها للأئمة، فشعور الذنب المولد للتوبة، والرغبة بالتوبة المولدة للاندفاع نحو الجهاد حتى الشهادة في نصرة قضايا الحق، قد ماتت أمام منطق البراءة وروح الشعور بالخصوصية المتعالية، والمسترخية أمام المهام التاريخية والمصيرية التي أرادت شهادة الإمام الحسين عليه السلام أن تزرعها في نفوس مواليه وأحبائه... بل إن الأمر يتجاوز حقل الفراغ في المشاعر، إلى حقل الفراغ في الوعي... فالوعي عندما يهيم بالغيبيات والأقاصيص، والأساطير، فإنه سيفقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وسيفقد القدرة على التمييز بين ما هو من الدين، وما هو توظيف سياسي

للدين، في خدمة الحاكم والسلطان، بل إنه سيفقد حينئذٍ إرادة التغيير؛ لأن روح القدرية والجبرية ستستفحل في مخيال الأمة والجماعة، وسيصبح الواقع كابوساً عذباً رغم كل ما يمكن أن يُخلِّفه من عذابات تضطرم بنيرانها في جسم الهوية والكيان.. لذا كان لا بد من أن تتوقف روح التصوف ولغته عن نشر بساط تعاليمها بين الناس في فهم الدين والأحداث .. ولم يُراعِ شريعتي هنا أن التصوف نزعة قد تودي إلى الفساد، إلا أنها قد تطلق طاقةً حيوية هائلة في ضمير ومشاعر وعقلية المتبنين لها.. إذ فارق بين صوفية تستدر كل الماضي الأسطوري لتوقف الوعي عند حرفية الأسطورة، أو عند اضطراباتها المنتجة لشخصيات قلقة ذات شطح ونرجسية فائقة.. وبين صوفية عارفة تستقي من معين الدين، أصولها ونهجها وشفافيتها، وتفتح مغالق القلب والفؤاد والفهم على كل وارد، من أجل أن تحوِّله إلى رمزٍ قابل للتطويع في منحى الدين الخاص. فتقتل الحرف لتولد منه المعنى، ثم تعود فتنفخ فيه من جديد ما يدمغه ضمن منظومة الاعتقاد والإيمان، وقيم تشكل الخصوصية الحضارية التي يمثلها الإسلام. وهذا ما مثلته مدرسة العرفان عند سلاك منهج محمد وآل بيته الأطهار(ع)، الذي يكون فيه الآخر أخاً على قاعدة الإسلام في المؤاخاة، وليس الآخر الحاكم في الطابع والسياق والرؤية.

٢- إن الموقف من تلك الشعائر، وإن توجس بها شريعتي روح مؤامرة حاكتها السلطة الصفوية عبر علاقة ملغومة مع أوروبا المسيحية... إلا أن هذا الموقف الحاد، لم يسمح له بتتبع مسار البدايات الأولى للشعائر الحسينية مع الأئمة الأطهار(ع)... وما واكبه من إجراءات حصلت في تاريخ سابق على الفترة الصفوية. وهي بدايات ستساعدنا معرفتنا بها كثيراً على مقاربة ما أفرزته الفترة الصفوية من مراسم عاشورائية....

وبالتأكيد، إن هذه الأمور ما كانت لتفوت شخصية فكرية فذّة من مثل على شريعتي لولا أن الذي تحرك فيه هو (المثقف السياسي) بدل (المحقق والمتابع التاريخي)...

فالنياحة ليست بالأمر الهجين عن التراث العربي أو الإسلامي؛ واللطم يجد بعضاً من جذوره في حالات ومواقف حصلت بمرحلة مسيرة السبي،.. والستائر تجد خلفيتها في الأعلام، وإن بأسلوب أخذ شكلاً جديداً هذه المرة...

وهذه التعبيرات بمجملها، وإن تطورت على يد الشيعة في إيران بمساعدة السلطة الصفوية... إلا أنه تطور تم عرضه كما يقول شريعتي نفسه على بعض علماء الدين، وبالتالي، فتبرير موافقتهم بقوله: إنها من التقية يحتاج إلى دليل بين واضح، وهذا ما ليس بالمتيسر....

٣- يكشف موقف علي شريعتي عن وجود حذر شديد يعتريه من الوافد، فهو حسب قوله يرفض ما يتضمنه الموكب العاشورائي من النعش الرمزي... واستخدام الآلات الموسيقية، واعتماد أطوار جديدة في المجالس الحسينية، لأن النوائح ؟ حسب رأيه- تجسيد دقيق لمراسم تؤديها الكنيسة، كما أن الستائر والتمثيليات رأى فيها أنها نفس ما تؤديه الكنيسة من إحياءات وتزيين.. وهذا يعني أنه لا يقبل بإدخال أساليب وعادات من خارج الإسلام إلى ديار المسلمين...

لكنه سرعان ما يذهب في مورد آخر إلى تبني موقف مختلف رغم ما فيه من اعتماد أساليب هي أيضا من خارج عادات التجربة الإسلامية.. عندما يقول: «إن أكثر المثقفين الملتزمين ممن لهم إطلاع بواقع عالمنا المعاصر، ولهم تماس مباشر مع المجتمع، ويفكرون بالدين تفكيراً واعياً، هم الآن في صدد اقتباس الوسائل الإعلامية والتثقيفية كالتلفاز والمسرح والسينما في الغرب وتوظيفها في خدمة الدين.. وتلك محاولة حضارية راقية»[٢٤].

إذاً هناك كان الاقتباس توهيناً في الدين يكاد أن يصل إلى حد الزندقة الصفوية والشيعية....

وهنا صار الاقتباس محاولة حضارية راقية...

مما يكشف أنه هناك تذرع بالاقتباس ليبرّر رفضه لتلك المراسم

والشعائر ... وإلا، فإن الاقتباس بذاته ليس بالأمر المخيف في حسابات شريعتي..

من هنا، فإننا نعتقد أن الذي حرّك موقف شريعتي نزوعه نحو النقد للعادات التراثية من جهة ورؤيته السياسية الرافضة لثقافة الغفلة والتمزق بين جماعات ومذاهب الأمة الإسلامية.. من هنا، فإنه إذ يمتدح التقليد الإيجابي المعبر عن تطوير أداء نشر المفاهيم والقيم فإنه يذهب للقول: «أما التقليد الذي يستحق الإدانة والشجب فهو التقليد الأعمى، وهذا ما يمكن لمسه بوضوح على صعيد بعض الممارسات الدينية والشعائر التقليدية التي يمارسها البعض، ومن شأنها أن تشعل فتيل الفرقة والخلاف، وتؤدي إلى تشرذم المجتمع سياسياً باسم الدين والمذهب»(٢٥).

فنقده إذاً إنما هو للشكل المعيق للوعي المولّد لتوحيد الأمة، والذي يسير بها نحو مشروع الأئمة النهضوي.. لذا فنقاش شريعتي ليس على أصل المبدأ الإحيائي العاشورائي الذي ينطلق منه بل على تقييم الموفد والشعائر والدلالات التي تحملها الشعائر، في ممارسات هنا وهناك؛ خاصة أن شغله الأساسي هو في الظاهرة الاجتماعية- الدينية.

لذا، فإننا نلحظ استدراكاً عند شريعتي حينما يعود ليقول: «والواقع أن أصل إقامة العزاء كان سنة معمولا بها بين أوساط الشيعة حتى منذ زمن الأئمة والإمام الصادق عليه السلام على وجه التحديد. ولقد كانت سنة حسنة، بل كانت ممارسة ثورية... وكان لهذا الأمر آثاره الجلية في تنمية إيمان الفرد الشيعي وتهذيبه أخلاقيا وروحياً وعاطفياً.. مضافاً إلى أن هذه الطقوس كان لها أثر كبير في إحباط مساعي الحكومات الجائرة لطمس حقائق النهضة الحسينية(٢٦). وعليه؛ فإن قراءة موقف شريعتي يحتاج إلى رؤية منظومية تتناول مرتكزات وأبعاد النظرة إلى المراسم العاشورائية من حيث أهدافها ومن حيث أشكال التعبير.. ولا يصح منا في نقدنا لشريعتي أو غيره أن نمزج

بين أصل موقفه وبين تقييمه السياسي للشعائر، والذي هو مورد نقاش واسع، بات علينا؛ بالفعل؛ أن نستجليه اليوم، وأن نستفيد منه العبر...

ثالثاً: الزاوية العصبية: إذ يرى شريعتي أن هذه المراسم بالطريقة التي يتم إحياؤها إنما تُعبِّر عن طابع العصبية الصفوية والفارسية القديمة..»، «وكل هذه المظاهر تستمد وجودها بين عصب صفوي يغذيها وينفخ فيها من أجل تضخيمها يوماً بعد يوم»(٢٧). إلى درجة اعتبر فيها أن «هالة النور التي توضع على رأس صور الأئمة وأهل البيت هي مظهر مقتبس أيضا، وربما امتدت جذوره إلى طقوس موروثة عن قصص ايزد ويزدان وغيرها من المعتقدات الزرادشتية في إيران القديمة»(٢٨).

ومن المعروف في هذا المجال أن شريعتي يعتبر أن العصبية شرط الانتماء، ولما كان يذهب للقول إن هوية إيران المعاصرة إنما كانت بالانتماء إلى الإسلام. فإن صفاء العصبية في الهوية الإيرانية التي يريد؛ يقضي اعتماد صفاءٍ وطهرانيةٍ عصبيةٍ إسلامية. بها وحدها يقوم مفهوم الأمة كجماعة متحدة... وأي إدخال لعناصر أخرى فإنه سيقضي على مثل هذه الطهرانية العصبية لانتماء إيران الإسلامي...

وقد يستهجن القارىء صدور مثل هذا الكلام عن شخصية فكرية عُرفت بآرائها الحداثوية كشريعتي. إلا أنه استهجانٌ مبني على أساس الانطباع فقط والصور النمطية التي ألقتها بعض المواقف منه أو عنه وبشكل متناثر، وهي انطباعات غير مؤهلة لتشكيل قاعدة لفهم موقفه.. إذ أن شريعتي عندما ينطلق في رفضه لصور هذه المراسم، فلاستناده الى نظرية سعى لطرحها في كتابه «الأمة والإمامة»، والتي تحدث فيها عن خصوصية دلالية تنطوي عليها كلمة«أمة» التي هي مأخوذة من (أمّ) بمعنى قصد وعزم... «وهذا المعنى يتركب من ثلاثة معان (حركة)، (هدف)، (قرار واع)، وحيث إن (أمّ) تنطوي في أصلها على مفهوم (التقدم) أيضاً يضحي هذا المعنى مركبا من أربعة

معان.. ومع حفظ جميع هذه المعاني تبقى كلمة (الأمة) في الأصل؛ بمعنى (الطريق الواضح) أي جماعة إنسانية تعني الطريق»[٢٩].

فالأمة إذاً، هي بعينها الطريق أو إن شئت فقل (الصراط) الواضح الذي لا لبس فيه، وهي بهذا المعنى الاورثوذكسية في حركتها وأهدافها وقراراتها وتوثبها نحو الأمام،....

وأي اختلال يقع على مستوى صفاء هذه الأركان، فإنه يعد خروجاً عن ذاك الصراط «الاورثوذكسية». والضامن لمثل هذا الالتزام بحسب شريعتي هو التعصب... ذلك أن الأمة عبارة عن «جامعة إنسانية يشترك جميع أفرادها في هدف مشترك، وقد التفّ بعضهم حول بعض، لكي يتحركوا باتجاه هدفهم المرجو على أساس قيادة مشتركة»[٣٠].

فالمشاركة ووضوح الهدف والتكاتف بين أفراد جماعة الأمة، والتحرك ولتحقيق ذاك الهدف تحت راية القيادة المشتركة للأمة؛ والتي تتمثل بالإمام، كلها عناصر لابُدَّ وأن تؤكد على ضرورة التعصب في العلاقة، والرابطة، والانقياد، والصورة، والخصوصية النمطية للمبدأ، والقاعدة والقيادة، والمجتمع الذي تنتمي إليه...

ويعتقد شريعتي أن أول عملية هدم لمفهوم وروح وقيم الأمة شنه أعداء الأمة، تمثل بكسر حصن الأمة الذي هو التعصب... فهذه «الكلمة هي أكثر المصطلحات في لغتنا مظلومية»؛ إذ إن الجماهير التي تتحصّن خلف التعصب تتمتع بشخصية مستقلة، وتعتمد على ذاتها، وترتبط بأصول تراثها الثقافي، وما دام هذا السور لم يسقط ولم يهدم، يبدو من المحال تسخير ومسخ الناس الذين تحصنوا خلفه.. من هنا، كان هدف الغرب هو هدم السد ولكن كيف؟ التجدد والثقافة إجراء جيد! فتحت غطاء الإنسان العالمي نلغي حدود التعصب، ونحوّل الآسيوي والأفريقي الذي يعشق ثقافته الغنية والقوية، التي تحرس قيمه الأصلية إلى قطيع مطيع، غير متوحش وخائف من العدو[٣١]؛ لذا فلا بُدَّ من

الحذر الشديد من كل أمرٍ يفد علينا سواءً أكان مفهوماً أم مصطلحاً أم سياسة أم قيمةً من القيم أم عادة وسنة من العادات والسنن، أم شعيرة أم مرسماً من المراسم؛ سواءً أكانت شعبية أم دينية، فولكلورية .. أم مقدسة؛ لأن السّمّ الزعاف لطالما اختلط بالعسل، ولطالما كانت نبوءات معاوية تشير بخبث أن لله جنوداً من عسل!!...

فالاقتباس، إذا أثر على أصل الإحياء المرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، فإنه سيؤثر على كل الأمة في أصل حركتها وأهدافها؛ مما يجعل شعيرة الثورة على طريقة فهم التشيع العلوي لها، شعيرة طقوس، تمجد السلطان الحاكم والأمر النافذ... وتجعل من الإمام «ما فوق الإنسان»، في الوقت الذي هو «إنسان ما فوق». وفارق بين الاثنين في رمزيتهما ودلالاتهما؛ إذ الأول يريد أن يجعل من الإنسان (الإمام) إلهاً. وهذا فضلاً عما فيه من انجرار نحو قناعات دينية فارسية قديمة تؤله البطل والمُخلِّص، فإن فيها إساءة تربوية للأمة. لأن الأمة التي تؤله بطلها وإمامها لا يمكنها أن تقتدي به.. إذ هو ليس منها، ولا هي منه، فهما لا يتشابهان.. أما الإسلام العلوي فإنه ينظر للإمام كما النبي، أنه إنسان يمكن لنا التأسي والاقتداء به وبقيمه وبمثله، لكنه إنسان يمثل الواقع العيني والخارجي لحقيقة الإنسان الكلي والذهني.. هو المصداق الكامل والأكمل، لذا فهو إنسان ما فوق صغائرنا وضعفنا، وشكنا وقلقنا. إنه يمثل كل الرغبة الذاتية التي خلق الإنسان عليها بالاقتداء بالمثال الأعلى.. وهو يمثل الحقيقة التي تجلت من الفكرة فكانت شخصاً، ومن العقيدة فكانت إماماً، ومن الكتاب العزيز، فكانت قرآناً ناطقاً.

وأي تأثير للشعيرة أو المراسم التي نلتزمها لنحيي شعيرةً من الشعائر، قد تخدش بمضمون قيم الإمام والثورة الحسينية هو خدش بالمقدس والأصل الذي منه كل فرع، وبالثابت الذي منه كل حركة.. إنه تشويهٌ لحقيقة الأمة والإمامة.. وهذا معيار رفض أو قبول أي ممارسة شعائرية قد نقوم بها . ومن هنا،

فعصبية الإيمان بمبدأ الفكرة هو الذي أودى بشريعتي ليرفض هذا الشكل من الممارسة، ولا أظن أن أحدا من الناس الموالين لنهج محمد (ص) وآله(ع) يمكن له أن يختلف في نظرته عن مبدأ هذه النظرة، وإن وقع الاختلاف في طريقة تناول موضوعة الإمامة ووظيفة الأمة تجاهها بين شخص وشخص .. فإذا ما وقع الخلاف في ممارسة إحياء أمر آل الرسول (ص) من شخص لشخص إلا أن أصل الإحياء هو الأمر الذي يشكل مورد اتفاق عند الجميع... ثم إن مفهوم العصبية عند شريعتي، لا يقف عند حدود شدة اليقين بالفكرة.. بل إنه يذهب ليعتبر أن رابطة الفكرة لا تنطوي على قيمة ومعنىً مجرد؛ فلتكون الفكرة متحققة بمعناها لا بد من أن نمارسها، والعمل هو الذي يعطي الوجود للفكرة.. ويبرهن على هذه النظرة، إذ يعتبر أن قولنا: أنا جيد وأنا سيء، متساويان. نظير تساوي جميع المفاهيم التالية: أنت تفكر، كلنا نفكر بطريقة واحدة، نحن لا نفكر بطريقة واحدة، إذ ليس أي منها موجوداً، فنحن إنسانان نفكر بطريقة واحدة ونعتقد نفس المعتقد، ولكن لم يلزم منه أن الإنسان غير موجود. وإنما نحكم وجوداً وعدماً حينما تبعث روح العمل في الحسن أو السوء، القبح أو الجمال، الخدمة أو الخيانة، في هذا الضوء، فالمتحدان فكرياً لهما وجود ذهني بالقوة، ولم يتوفرا على وجود عيني بعد، وإنما هما ماهيتان فلسفيتان فحسب. وإنما يوجدان ويمكن الحكم عليهما حينما يشقا طريقهما إلى دنيا العمل[٣٢].

فالأمة مجتمع من أبناء الإنسان متحدين فكراً وعقيدة ومذهباً وطريقة، لا على مستوى الفكر فحسب، بل على مستوى العمل أيضا[٣٣]؛ لذا فإن الذهاب للقول إن العقيدة إن كانت صالحه والفكرة في الذهن واضحة والنية في القلب سليمة، فلا جريمة في هذا التعبير أو تلك الممارسات، قول فاسد في ميزان شريعتي لأن الفكرة والمعتقد والنية لا وجود لها إلا بظرف الممارسة العملية.. فإن كانت الممارسة العملية في المراسم الشعائرية العاشورائية تنتمي إلى

عصبية حضارية تختلف عن عصبيتنا الحضارية فهذا يعني هدماً لكل الفكرة والنية والعقيدة.. الأمر الذي يستلزم حدة في الموقف تجاه مثل هذه الممارسات. وطبيعي لمثل شريعتي الباحث الاجتماعي أن يقرأ الظاهرة كمؤشر للمعنى، ولا يفصلها عنه، وعن سليقة الأمة التي أنتجتها أو التزمت بها..

يبقى أن أشير إلى نقطة، أرى فيها أهمية خاصة في تقييم الناس للدارسين في شؤون الدين والإسلام والتشيع والشعائر الحسينية. من مثل فرزهم لفلان بأنه متطرف ولفلان بأنه متنور، وإطلاق صفة الإصلاح على هذا الموقف، والغلو على ذاك.

دون ضوابط من معالجة علمية أو موضوعية، بل أكاد أن أقول إن مثل هذه التسميات تنطلق بسبب:

أما الجهل والاقتصار على الأمور الشكلية..

وأما أحكام غير نزيهة، إذ تلتمس الموقف والحكم من خلال ما يتجانس ويتشابه مع ما تقدمه ثقافة الغرب وإعلامه المزيف للقيم والحقائق؛ فإن ظنوا موافقة الأشخاص مع النموذج الذي ينتجه الغرب بقيمه وثقافته، أسموا الأشخاص بالمعاصرين.. وإلا حكموا عليهم بالتخلف.. وهو حكم لا ينطلق من تحليل موضوعي، بقدر ما فيه توظيف للمصالح الغربية..

أما موقف أنصاف المثقفين من التابعين لخيال الغرب في نمطية أحكامه، واللغة السائدة الحائزة على اهتمامات مشاغل الناس من الذين باتوا «لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» وقاهم الله شر أنفسهم؛ لم يوصلنا إلى قاعدة موزونة تعرف من خلالها المتخلف من غيره..

مثلاً: ماذا نحكم على شخصية كعلي شريعتي؟ هل يمكن أن نسميه متنوراً؟ وهو الذي خالف كل القيود التي أوصدت ثقافةُ العصر بها عقول المفكرين عن ممارسة حرية التعبير، عن هويتهم، تحت عنوان الموضوعية، وأطلق مفهوم الإمامة كخيار وحيد لأمة الصراط، ونظَّر لضرورة تعصب أبناء

الأمة لقيادتها وشعائرها كشرط أصيل لتحقيق أصل وجودها؟ أم نطلق عليه اسم المتطرف المغالي وهو الذي انتهج في دراساته ما خالف به الموروث المنهجي، ووصل بذلك إلى أحكام أثارت بوجهه عواصف من قبل الجماعات التي يطلقون عليها اسم الغلاة والتقليديين؟.

كيف يكون صالحاً لمسمى التنور -حسب معاييرهم- وهو الذي رفض الموسيقى وترانيم القراءة الحسينية؛ لأنها مخالفة للضوابط الشرعية؟ وكيف يكون مغالياً وهو الذي قد حارب مشاهد العنف والدم في ممارسة المراسم العاشورائية بسبب التطبير والضرب بالقامات والجنازير.. وغيرها؟!!

في ظني أننا عند كل مفترق لبحث موقف تجاه موضوع من موضوعات الفكر والممارسة الإسلامية، سنكتشف أن هناك توظيفاً إسقاطياً بسبب قرارات لا تريد بأصل الدين والإسلام خيراً، هي التي تحرك مثل هذه الأحكام...

وذلك ليخرجوا اختلاف الآراء بين المسلمين عن دائرة الاختلاف الاجتهادي الفكري منه والفقهي، من هنا، فإن علينا أن لا نقع فريسة هذه السطحية في الأحكام والتي بدل أن تجعل من الفكرة مورداً للتنوع والغنى، فإننا نخلق منها خنادق التقابل والتنابذ والتشاحن.

كما وبات لزاماً علينا، أن ندرس من ضمن ما ندرس أدب التخاطب عند الاختلاف؛ بحيث نترك للفكرة ولحرية التفكير والتعبير، كل طاقتها الحيوية المبدعة دون أن نصل بها إلى أفق السلبية في الموقف.. والسطحية في التعبير عن الآخر، إضافة للتعبير عن الذات. يبقى أن شريعتي وإن انطلق من سلامة في مبدأ موقفه، إلا أنه كعادته يأخذ به الحماس كل مأخذه فيوقعه وبمساعدة طريقته الشفوية في أسلوب التعبير والصياغة باضطراب مع أفكار سابقة. ويترك لحيثيات ما كان ينبغي الغفلة عنها. وباستدعاء أمور كمؤيدات لفكرته، هي لا تصلح بحقيقتها لمثل هذا الدور...

وعليه فنحن لسنا ملتزمين موقف السلبية الكلية، ولا القبول الكلي لأفكاره

واستدلالاته ولاستنتاجاته التي يصل إليها، بفعل تفكيكه لدلالات ورموز هذه الشعيرة أو ذاك المرسم...

بل علينا أن نسعى لقراءة منظومية تحتضن نفس القيام الجهادي للإمام الحسين عليه السلام بحركته ومسيرته وأهدافه ومعتقداته، ومدى تعبير تلك المراسم عن ذاك القيام الحسيني. بشكل يستفيد مما أثير، ولا يتشنج من أي وجهة نظر، بل علينا أن نوظّف كل فكرة، ومقالة، وموقف في سبيل وحدة غنية، نهضوية، .. تسعى لإحياء أمر الدين، وأمر محمد(ص) وآل بيته الأطهار(ع)....

الاتجاه الثالث

ضمن الاتجاهات التي عالجت ظاهرة الشعائر الحسينية، إتجاهٌ رأى فيها سبيلاً أراده الأئمة الأطهار(ع) موصولاً على الدوام مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام.. ثم اعتبر أن كلّ المراسم؛ التي لا تُمثِّل انتهاكاً لحكم شرعي، أو غاية من غايات القيم الإسلامية؛ والتي ينسجم معها الناس في وجدانهم الديني والإيماني، فهي مراسم صحيحة، ينبغي حفظها وتثويرها.. كما ورأى أن وجود اقتراحات جديدة لإقامة المراسم الشعائرية، لا يُفضي بالضرورة إلى ترك المراسم التي كانت قبلها...

وميزة هذا الاتجاه، أنه تعاطى مع الشعائر الحسينية تعاطياً عملياً، حيث أراد منها أن تكون الفرصة المتكررة للتأسي بحركة الإمام الحسين عليه السلام الاستشهادية في نظرتها للحق والعدل، وموقفها من الباطل والظلم والجور... وإذا ما كان عند هذا الاتجاه بعض التحليل للشعيرة والمراسم ومشروعيتها وغير ذلك، فبروحية متسامية عن الجدل التفصيلي.. بل ترسم الرؤية لتنطلق منها بمسيرة الالتحاق بالنهضة الحسينية، والتأدُّب بالقيم الحسينية، وصنع الأجيال والواقع والمستقبل على ضوء أهداف النهضة الحسينية...

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن فاتح هذه الرؤية في زماننا هو الإمام

الراحل روح الله الموسوي الخميني (قده)... إذ لطالما أكد على ضرورة استحضار الأحداث والدلالات العاشورائية في حياتنا الإسلامية، والتعامل معها وكأن الإمام الحسين عليه السلام يخاطبنا نحن الآن، ويطرح أمامنا المهام..

«عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام أن حاكماً ظالماً جائراً، يحكم الناس فإنه يصرح ويقول إن من يشاهد حاكماً جائراً يحكم بين الناس، ويظلمهم، فيجب عليه أن يقف بوجهه ويمنعه بقدر استطاعته، إن بضعة أنفار لم يكونوا شيئاً أمام ذلك الجيش، ولكنها المسؤولية والتكليف، إذ كان يجب عليه أن ينتفض، ويقدم دمه حتى يصلح هذه الأمة»(٣٤).

والإمام (قده) إذ يلفت هنا إلى المسؤولية والتكليف في التصدي كلما كانت الظروف مشابهة لما حصل أيام الإمام الحسين عليه السلام، فإنه يرى: أن الإمام الحسين عليه السلام لم يُقدّم كل ما قدَّم من أجل فترةٍ زمنية محددة بل «كان الحسين عليه السلام يفكّر بمستقبل الإسلام والمسلمين؛ باعتبار أن الإسلام سينتشر بين الناس نتيجة لتضحياته، ولجهاده المقدس، .. وأن نظامه السياسي والاجتماعي سيقام في مجتمعنا، فرفع لواء المعارضة والنضال والتضحية»(٣٥).

بمثل هذه الرؤية فهم الإمام الراحل(قده) نهضة الإمام الحسين عليه السلام ونظرته التي استشرفت المستقبل .. وعلى ضوء هذا الفهم أخذ الإمام الخميني(قده) يتحضر ليتلقى الدروس والعبر من عاشوراء وكربلاء ومن تلك الدروس والعبر:

١- أن أهل الحق، إن علموا أنهم على حق، وأن الطريق الذي اختاروه في المواجهة هو الخيار الأسلم، فإن عليهم سلوكه مهما قلَّ عددهم وكثر عدوهم..

« لقد علَّم الإمام الحسين عليه السلام الناس أن لا يخشوا قلة العدد، فالعدد ليس هو الأساس، بل الأصل والمهم هو المضمون، والمهم هو الكيفية في التصدي للأعداء، والنضال ضدهم والمقاومة بوجههم، فهذا هو الموصل إلى الهدف»(٣٦).

٢- إن أهم هدف في أهداف النهضة الحسينية التي ينبغي أن نسير فيها وأن نلتزمها هو إقامة العدل، وإزالة الجور مهما كان الثمن «ونحن الموالون لسيد الشهداء عليه السلام السائرون على نهجه ينبغي أن ننظر في حياته، وفي قيامه الذي كان الدافع اليه النهي عن المنكر ومحوه.. ومن المنكر حكومة الجور وهي يجب أن تزول»(٣٧).

٣- إن تأكيد عهد الولاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام إنما يكون بمعرفة الدور العظيم الذي قام به.. وحفظ الإنجاز الذي حققه عليه السلام..

«إن إرادة الله تبارك وتعالى شاءت؛ -وما تزال-؛ أن يخلد الإسلام، المنقذ للشعوب، والقرآن الهادي لها، وأن تحييه دماء شهداء من أمثال أبناء الوحي، وتصونه من أذى الدهر، فتبعث الحسين بن علي عليه السلام - عصارة النبوة وتذكار الولاية - وتستنهضه كي يضحي بنفسه وبأرواح أعزته فداءً لعقيدته ومن أجل أمة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) العظيمة كي تبقى دماؤه الطاهرة تغلي على امتداد التاريخ، وتجري دفّاقةً لتروي شجرة دين الله، وتصون الوحي، وتحفظ معالم الدين»(٣٨).

٤- وأن مثل هذا الحفظ للإنجاز المحمدي - الحسيني- هو معيار الانتصار الحقيقي، مهما تقلبت الظروف، والآلام، والمواجع، والأيام..

«لقد تعرض الإمام الحسين عليه السلام للهزيمة عسكرياً، إلا أن النصر النهائي كان من نصيبه، فخطه ونهجه، لم يهزما بمقتله بل إن عدوه هو الذي ذاق الهزيمة، وكان نصيبه الفناء .. فنهض الإمام سيد الشهداء، وأفشل مساعيه(٣٩).

٥- عليه، فإنه وبموجب هذه القواعد التي استفادها الإمام الراحل (قده) من النهضة الحسينية، فإنه رأى في مناسبة ذكرى نهضة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته عنواناً خاصاً مفاده: سيعد شهر محرم بالنسبة لمدرسة التشيُّع؛ الشهر الذي تحقق فيه النصر اعتماداً على التضحية والدماء(٤٠).

٦- وبالتالي، فإن الإحياء لهذه الشعائر يبعث، ولو من خلال الحزن والبكاء واللطم، كل روح استشراف المستقبل الزاهر بالنصر الأكيد، كلما كان التزام النهضة الحسينية أعمق وأبلغ تأكيداً... إذ «لولا النهضة الحسينية، لما استطعنا تحقيق النصر في ثورتنا هذه»(٤١).

٧- ولحفظ هذا النصر، لابد من حفظ الأسباب التي أدت إليه «أجل إن الحق منتصر، لكن للنصر مفاتيح ورموزاً ينبغي لنا العثور عليها ومعرفتها.. علينا أن نعرف أن أحد هذه الرموز الكبرى، هو قضية سيد الشهداء عليه السلام وإذا أردنا أن يبقى بلدنا حراً ومستقلاً ينبغي أن نحفظ هذا الرمز»(٤٢).

٨- من هنا جاء تأكيده (رضوان الله تعالى عليه) للناس: «أحيوا ذكرى نهضة كربلاء والاسم المبارك للحسين بن علي عليه السلام فبإحياء ذكراه يحيا الإسلام»،(٤٣). «علينا أن نحافظ على هذه السنن الإسلامية، وينبغي لنا أن نحافظ على هذه المواكب الإسلامية المباركة التي تنطلق في عاشوراء، في محرم وفي صفر، وفي المناسبات ونؤكد على الالتزام بها، أكثر فأكثر..»(٤٤).

وبنفس هذا المنطق الإحيائي يتحدث السيد حسن نصر الله إذ يعتبر أن «هذه الحادثة -عاشوراء- التي هي ملك الأمة والتاريخ، وملك هذه المسيرة الإلهية، يجب العمل على تذكرها وإحيائها دوماً ليس في عاشوراء فقط، بل مع كل شهيد، مع كل فقيد، مع كل مأساة، مع كل نصر، مع كل إيثار، مع كل حماسة، مع كل ثبات، مع كل وفاء. كربلاء يجب أن تبقى حاضرة في الذاكرة وفي الذكر، في الخطاب وفي الفعل، في القلب وفي الفكر وفي الثقافة»(٤٥).

فالفكرة الجامعة لهذا الطرح هي استحضار عاشوراء عند كل مناسبة من أجل حفظ القيم والأهداف التي احتضنتها عاشوراء، لتعميم مساحتها على مفردات الحياة اليومية عند المسلمين، كي لا يغفلوا عن مقاصد وتأثيرات النهضة الحسينية، والأسلوب المعتمد لتحقيق هذه الغاية هو بتعميم إحياء الشعائر والمراسم الحسينية، لما لهذه الشعائر والمراسم من تأثير استثنائي

يكفل تعميمه وحفظه تركيز روح إحياء الأمر، والنهضة الحسينية المباركة.. لذلك يتوجه الإمام الراحل (قده) إلى الله سبحانه قائلاً: «ندعو الله أن يوفّق شعبنا لإقامة مراسم العزاء في ذكرى واقعة عاشوراء»[٤٦]. وفي هذا إشارة إلى أن حسن التعامل مع المراسم العاشورائية يحتاج إلى موفقية خاصة، تُجنّب الناس الوقوع في منزلقات الخروج عن أهداف الشعائر الحسينية، في الوقت الذي عليهم التزامها كما هي في أساليبها التقليدية .. لأن لهذه الأساليب تأثيرها الخاص في حفظ الوجدان الرافض للظلم وحكومات الجور، ورفع راية الإسلام، والمطالبة بتحقيق العدالة، فضلاً عن المنطلق الديني الذي تحتضنه هذه المراسم..«إن هذا الثواب المخصَّص للبكاء، ومجالس العزاء، إنما تضيء؛ علاوة على الناحية العبادية والمعنوية؛ على الأبعاد السياسية.. فهناك مغزى سياسي لهذه المجالس...

طوال التاريخ كانت هذه المجالس منتشرة في أرجاء البلدان الإسلامية، وفي إيران أخذت هذه المجالس تتحول إلى وسيلة لمواجهة الحكومات التي توالت على سدة الحكم، ساعية لاستئصال الإسلام وقلعه من جذوره والقضاء على العلماء . فهذه المجالس والمواكب هي التي تمكننا من الوقوف بوجهها وإخافتها»[٤٧].

فالإمام رأى في هذه الشعائر والمراسم طاقة عبادية، ومساراً سياسياً لمواجهة الحكام والجبابرة، بفعل استجابة الناس للتفاعل مع هذه الشعائر والمراسم، والذي رسَّخ في نفوسهم ارتباطا خاصاً بالقيادة الإسلامية لديها كل القابلية الاستشهادية في سبيل المبدأ والدفاع عن الحقوق...

ومن الآثار المباشرة التي لمسها الإمام الراحل (قده) لإقامة هذه المراسم نذكر:

أ- تشكيل وحدة مجتمعية متراصة بين أناس يجمعهم الوجد والعشق الحسيني، الفوَّاح بالإيمان والإخلاص والصدق والثبات ... والذي يخلق

استعداداً جماعياً بالقيام والنهضة لتأدية التكليف.. «بإحياء مجالس العزاء يحصل الترابط بين حركة الجماهير ووحدتها لتنظيم هذه الحركة ولبناء هوية المجتمع السياسية»(٤٨).

ب- دور هذه الشعائر والمراسم في تهيئة المناخ التربوي، والتثقيفي لتنشئة شباب مجاهد، مستعد للاستشهاد.. «إن هذه المجالس التي نذكر فيها مصائب سيد الشهداء والمظلومين عليه السلام وتظهر مظلومية ذلك المؤمن الذي ضحى بنفسه، وبأولاده، وأنصاره في سبيل الله.. هي التي خرَّجت أولئك الشبان الذين يتحرقون شوقاً للذهاب إلى جبهات القتال، ويطلبون الشهادة ويفخرون بها، وتراهم يحزنون إذا هم لم يحصلوا عليها»(٤٩).

ت- دور إقامة الشعائر الحسينية في إسقاط أهداف الحكم الشاهنشاهي، وتثوير الناس في مواجهته واقتلاع جذوره «كان النظام السابق قد عمل على سلب الشعب كل شيء، وتقديمه للأجانب حتى أفقد البلد شرفه الإنساني، ثم فجأة حصل الانفجار الشعبي الذي تم ببركة هذه المجالس التي عمت البلد من أقصاه إلى أقصاه حتى اجتمع الناس على هدف واحد»(٥٠).

ث- إن لإحياء الأمر الإلهي بإقامة الشعائر الحسينية تأثيراً في حفظ المسجد والمحراب والمنبر.. ودور حاسم في حفظ حرية التعبير بجرأة، عن القناعات التي غيرَّت معالم الدولة في إيران... «فذكر المراثي هو الذي صان المحراب والمنبر، ولولاها لما تسنى للخطيب أن يطرح ما يريده من المواضيع، ولولاها لما بقي للمنبر وجود يذكر»(٥١).

ج- إن لإقامة هذه الشعائر والمراسم دوراً حساساً ومؤثراً في توحيد كلمة المسلمين «فوحدة الكلمة التي كانت السبب في انتصار ثورتنا تعود إلى مجالس العزاء، ففيها تم التبليغ للإسلام والترويج له»(٥٢).

ومن يرى مثل هذه الآثار، ويقرأ في أصل منطلق الشعائر مثل هذه الأهداف والبرامج التربوية، لا يمكن إلا أن يعمل على التشجيع عليها، ودفع الناس على

التزامها وتثمير كل الإمكانات التي تحملها هذه الشعائر والمراسم.. خاصة إن كانت هذه الشعائر بأحزانها وبكل أحداثها هي بالأساس متصلة؛ بحسب العقيدة التي تختزنها، بالمستقبل، عبر وحدة الإمامة التي ابتدأت بعد رسول الله (ص)، بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لتختتم بقائم آل محمد(ص) الحجة المنتظر (عج)، فكمال تحقيق الأهداف الرسالية التي قدَّم الإمام الحسين عليه السلام ذاته الشريفة في سبيلها، إنما يكون على يد الذي يمثل مستقبل البشرية المهدي.. والمهدي (عج) بحسب «زيارة الناحية» يعايش في كل لحظة من لحظات حياته المباركة آلام وقائع وأحداث عاشوراء وما جرى على أبي عبد الله وأهله والأصحاب.

«السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك ، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك ، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلأن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب. أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر والعدوان، وأطعت الله وما عصيته، وتمسكت به وبحبله فأرضيته وخشيته، وراقبته واستجبته، وسننت السنن، وأطفأت الفتن، ودعوت إلى الرشاد، وأوضحت سبل السداد، وجاهدت في الله حق الجهاد. وكنت لله طائعا، ولجدك محمد صلى الله عليه وآله تابعا، ولقول أبيك سامعا، وإلى وصية أخيك مسارعا، ولعماد الدين رافعا، وللطغيان قامعا، وللطغاة مقارعا، وللأمة

ناصحا . وفي غمرات الموت سابحا، وللفساق مكافحا، وبحجج الله قائما، وللإسلام والمسلمين راحما، وللحق ناصرا، وعند البلاء صابرا، وللدين كالئا، وعن حوزته مراميا، وعن شريعته محاميا»[٥٣].

ومن هنا يكون التعلق بهذه الشعائر فيه تأسٍّ بالأئمة الأطهار (ع) عموماً، وبالإمام الحجة (عج) على وجه الخصوص... وهو الأمر الذي عبَّر عنه السيد نصر الله، قائلاً «إلى القلب المفجوع المملوء بأحزان التاريخ وآلام الدنيا إلى قلب صاحب الزمان أولاً، إلى دموعه وعينيه، إلى روحه وعقله وعاطفته وأنفاسه، إلى كل قطرة من دموعه الطاهرة، نتوجه بالعزاء ونقول: يا سيدنا نحن أحباؤك ومنتظروك، وممهدو الأرض لك، نشاركك الدموع دموعاً، والحزن حزناً، والسواد سواداً، والبكاء بكاءً، والألم ألماً لتعتصر قلوبنا مع قلبك، وتفيض أعيننا مع عينيك، ولتكون دموعنا ودموع الجالسين هنا، ودماء مجاهدينا في المقاومة الإسلامية الذين يخوضون مواجهات بطولية، مع قتلة الأنبياء والرسل في جنوب لبنان والبقاع الغربي، المواساة الحقيقية والصادقة والمخلصة»[٥٤].

فالأجيال التي آمنت بالنهضة الحسينية، وبمحقق أهدافها النهائية المهدي(عج) والتي انتهجت نهج الإمام الخميني - قده- استطاعت أن تتماهى مع مقاصد هذه الشعائر الحسينية حتى أقامت للحق نصره ودولته... وهذا ما كان واضحاً أيضاً في فكر الإمام الخميني -قده- لذا، فإنه أرسى والسيد الإمام الخامنئي؛ من بعده؛ جملة توجيهات شكلت عنوان النظرة إلى الشعائر الحسينية، وإلى المراسم التي تقام لأحياء تلك الشعائر .. ومن تلك التوجيهات..

أ- التركز على ما أسميناه من قبل بالشعائر المثيرة للحزن، والتي تُغيِّر ما بالأنفس تمهيداً للتغيير الاجتماعي والسياسي الواسع ويقول الإمام -قده- بهذا الصدد «إن البكاء على سيد الشهداء يُعدُّ إحياءً للنهضة وإدامة لها، والرواية

الواردة:من بكى وأبكى فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة» إنما تشير الى أن التباكي أيضا له فعّاليته ومن شأنه إدامة النهضة وحفظها»(٥٥).

فالإمام رأى في البكاء فضلاً عن الجانب العبادي، أبعاداً على مستوى جماعة أهل الإيمان وقضاياهم السياسية المحقة والعادلة «فلا يخفى عنكم ما له من الأهمية من الناحية النفسية والدور في تأليف القلوب وانسجامها»(٥٦). بل إن له دوره الحساس في إلقاء الرعب بقلوب الجبابرة الظالمين «إنهم يخافون من هذا البكاء بالذات لأنه بكاء على المظلوم، وصرخة في وجه الظالم»(٥٧). وهذه العبارة كشفت عن الوجه الآخر للبكاء.. إنه صرخة في وجه الظالم لتتحداه في أصل ظلمه، وهو تحدٍ ينبع من عمق الوجدن والألم المستنير، ويقظة الفجيعة..

ب- التركيز على الشعائر الحسينية الإبلاغية؛ إذ يرى فيها سر إرتباط الناس بعضهم بالبعض الآخر، وتشكيلاً لهويتهم السياسية والاعتقادية «فهذه المواكب والمآتم هي التي تجمع الناس إلى بعضهم البعض»(٥٨)، «إن هذه المواكب التي تجوب الشوارع للعزاء إنما تواجه الظلم وتتحدى الظالمين وهو ما ينبغي المحافظة عليه... واعلموا أن حياة هذا الشعب رهينة بهذه المراسم والمراثي والتجمعات والمواكب»(٥٩)؛ لذا فإن الحرص عليها يؤكد على ضرورة فهم دورها النهضوي،.. ويؤكد على عدم تعريضها لأي توهين أو شائبة، وهذا ما يوضحه الإمام الخامنئي (حفظه المولى) حينما يقول:«يؤسفني أن أقول إن أموراً جرت خلال الأعوام الماضية وأعتقد أن أيادي تقف وراءها.. منذ القدم كان متعارفاً أن يضرب الناس أيام العزاء أجسادهم بالأقفال، ثم تحدث العلماء عن ذلك فزالت تلك العادة، واليوم ظهرت هذه العادة مجدداً، ما هذا العمل الخاطىء الذي يقوم به البعض؟! والتطبير أيضا من جملة هذه الأمور ويعتبر عملاً غير مشروع.. لو كانت مسألة التطبير -ضرب الرأس بالسيوف- التي بدأوا يروجون لها أيام إمامنا الراحل قده؟ لوقف الإمام بوجهها...

فينبغي أن لا نقوم بعمل يجعل من المجتمع الإسلامي المحب لأهل البيت(ع)، والذي يفتخر باسم ولي العصر - أرواحنا فداه- وباسم الحسين بن علي عليه السلام وباسم أمير المؤمنين عليه السلام... لا ينبغي أن نجعله في نظر باقي المسلمين وغير المسلمين في العالم، يبدو وكأنه مجتمع خرافي وغير منطقي»[٦٠].

والإمام الخميني (قده) وجَّه لخطباء المجالس الحسينية إرشادات ركز فيها على ضرورة التركيز في المجلس الحسيني على قراءة المصيبة أو المصائب التي وقعت بعاشوراء «ليتحدثوا -القراء- كثيرا عن مصائب أهل البيت،.. كي يصبح الناس على أهبة الاستعداد وحاضرين في ميادين الأحداث»[٦١]. كما أكد الإمام على الخطباء أن «يسعوا إلى دفع الناس إلى القضايا الإسلامية،وإعطائهم التوجيهات اللازمة في الشؤون السياسية والاجتماعية»[٦٢].

هذا ويستكمل الإمام الخامنئي حلقة الإرشاد والترشيد لخطباء ومقيمي المجالس الحسينية بذكر ثلاثة أمور يجب أن تقوم عليها المجالس:

الأول: أن تسهم هذه المجالس في زيادة حب آل البيت في قلوب الناس، لأن الرابطة العاطفية رابطة ذات قيمة عظيمة.. فالعمل على ما من شأنه زيادة حب الحسين عليه السلام وآل النبي (ص) ومصادر المعرفة الإلهية يقتضي عدم التحدث أو القيام بما يُنفِّر الناس عن صاحب العزاء، وأهداف نهضته المباركة..

الثاني: توضيح مبادىء قيام النهضة العاشورائية؛ فإذا فقدت المجالس مثل هذه التوضيحات، فإنها ستفقد أهم ركيزة من ركائزها..

الثالث: الاستفادة من هذه المجالس في إبلاغ وشرح المعارف الإيمانية بين الناس.

ثم يؤكد سماحته على ضرورة التركيز على قراءة المجالس بالطريقة التقليدية الهادفة، وإقامة المواكب بالطريقة التقليدية الهادفة.. والحذر من الوقوع في محذور التوهين بالدين.. وبهذا الصدد يقول سماحته:

«هناك أمور تقرب الناس من الله ومن الدين، مجالس العزاء التقليدية هذه تقرب الناس من الدين، وهذا ما أوصى به الإمام الراحل، إن الجلوس في المجالس، والاستماع إلى العزاء والبكاء واللطم على الرؤوس والصدور والخروج في مواكب العزاء، كل ذلك يثير عواطف الناس تجاه أهل البيت النبوة (ع) هذا أمر عظيم، وهناك ما هو عكس ذلك مما يُبعد البعض عن الدين»[٦٣]. ومن هذه الأمور المبعدة عن الدين تناول عاشوراء بطريقة أسطورية، والقيام بتصرفات غير مقبولة...

كما أن من الأمور المبعدة عن الدين والإصغاء والتفاعل مع طروحات تريد الاستغناء عن المراسم والشعائر العاشورائية.. لذا «من الضروري أن يتم التمسك بمراسم التعزية... لكي يلتزم الناس بها رغم كل الضغوط والمصاعب، ولا يدعونها .. وإلا فإن جهود الإمام الحسين بن علي عليه السلام ستسحق بسرعة البرق.. الأمر الذي يؤدي إلى تلاشي واندثار جهود ومساعي رسول الله (ص) التي بذلت لوضع أسس ودعائم الإسلام والتشيع»(٦٤) ، وقد علق السيد نصر الله على التحديات التي أرادت النيل من إحياء المناسبات العاشورائية بالقول:«هناك من حاول بسيف السلطة أن يمنع إحياء هذه المناسبات، وهناك من حاول بعنوان المنطق والفكر والاستدلال والحضارة والثقافة والتطور أن يواجه إحياء هذه المناسبات للقضاء عليها، ولكن لا السيف ولا المشانق ولا الأعواد ولا السجون ولا السلطات الغاشمة طوال التاريخ، ولا الأقلام المأجورة استطاعت أن تحول دون أن تأخذ هذه المناسبة قوتها، وحيزها الكبير في وجدان الأمة، وثقافة الأمة، وتاريخ الأمة»[٦٥].

رافضاً -سماحته- ادعاءات من يعتبرون أن عاشوراء مذهبية ضد المذاهب الأخرى، راداً بالقول «وهل الشيعة استخدموا كربلاء ضد الآخر الذي يختلفون معه في العقيدة أو في الفكر أو في العادات أو في التقاليد؟!. نحن استخدمنا كربلاء دائماً في مواجهة الطواغيت الذين كانوا يظلمون الشيعة والسنة،

والمسلمين، والمسيحيين، والناس.. ونحن استخدمنا كربلاء في مواجهة البرابرة الذين أرادوا أن يدمروا هذه المنطقة، وهذه الأمة، ونحن في العصر الحديث نستخدم كربلاء لنقاتل إسرائيل نيابة عن كل لبناني وعربي ومسلم»(٦٦).

وهكذا، فإن كربلاء عند هذا الاتجاه هي قضية دين وشرف وعزة..

قضية حياة وحق واستقلال وحرية.. وليست قضية خلاف بين المسلمين، أو اختلاف بين أهل الدين الواحد، والمذهب الواحد.. وبالتالي فبمقدار ما تكون المراسم التي يتم بها إقامة الشعائر الحسينية منسجمة مع الهدف النهضوي وغير مخالفة للحكم الشرعي، بمقدار ما يكون التمسك بها والعمل على حفظها .. وبمقدار ما تبعد عن هذا الهدف، فإنها تصبح مرفوضة ولقد لاحظنا، أنه ومع الإمام الخميني -قده- أخذ الاتجاه في تحريك عناصر وأساليب الإحياء للمراسم العاشورائية، يتأثر بتوجيه الولي الفقيه، وقادة النهضة الإسلامية المعاصرة.. بحيث تطور الإحياء العاشورائي بشكل ملفت ومنسجم مع حفظ الأصول التقليدية لإقامة المجلس من جهة، كما ومنسجم مع مواكبة التطورات الجهادية والسياسية من جهة أخرى..

ولعل دراسة هذا التطور يحتاج إلى كتاب مستقل يكشف من الأبعاد المعنوية والنهضوية لدور الولي الفقيه توجيه المراسم العاشورائية.. ومدى تأثير ذلك في روحية وثقافة الشهادة الحياة، والجهاد والانتصار، وبناء المجتمع والدولة والمستقبل..

ت- التركيز على نشر أهداف النهضة الحسينية وربطها بقضايانا المعاصرة... وبصدد إثارة هذه النقطة فسأكتفي بنقل ما قاله الإمام الخامنئي -حفظه المولى- واختم به... «أعزائي أيها المؤمنون بالحسين بن علي عليه السلام يمكن للحسين بن علي عليه السلام اليوم أن يحرر العالم شريطه أن لا يطال التحريف قضيته، لا تدعوا الأعمال المضللة، المنحرفة تكون سبباً في انصراف الأنظار والقلوب عن الصورة المباركة والمنيرة لسيد الشهداء عليه السلام يجب أن نتصدى للتضليل والتحريف.

وخلاصة القول نقطتان:

الأولى: إنه ينبغي الاستمرار باستعراض واقعة عاشوراء وما حدث للحسين بن علي عليه السلام في ليلة وصبيحة عاشوراء من على المنبر بالأسلوب المعهود نفسه في كل عام. في الغالب تختفي الوقائع بما فيها الكبيرة منها مع مرور الزمن لكن واقعة عاشوراء بكل تفاصيلها ظلت باقية ببركة مجالس العزاء الحسيني، وبالطبع، فإنه ينبغي تبيين وقائع عاشوراء بدقة وبالمقدار الذي جاء في كتب ابن طاووس والمفيد بهذا الشأن، لا أن تقرأ المصيبة بتسطير قضايا مختلفة وبعيدة عن الواقع. في المدائح وقراءة أشعار المصيبة، واللطم على الصدور، والخطب المفيدة، ينبغي تبيين أحداث عاشوراء وأهداف الإمام الحسين عليه السلام المتجسدة بكلماته الخالدة طلباً للإصلاح في أمة جدي، وحيث قال عليه السلام: يا أيها الناس إن رسول الله (ص) قال: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»(٦٧). وهذا في حد ذاته درس وموضوع رئيسي قال عليه السلام: «فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا». وفيه بحث عن اللقاء بالخالق تعالى. إن الهدف من خلق البشرية هو كما جاء في قوله تعالى**﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾**(٦٨)؛ أي من وطّن نفسه على لقاء الله فليأتِ معنا، عليه أن يلتحق بركب الحسين عليه السلام ولا يحق له البقاء في البيت، لا يجدر به التمسك بالدنيا ومتاعها، والغفلة عن طريق الحسين عليه السلام ينبغي علينا السير بركبه.

هذا الشيء يبدأ من أعماقنا، من أنفسنا، ونقطة الانطلاق فيه تكون بتهذيب وتزكية النفس ليتدرّج بعدها إلى المجتمع والعالم.

هذه الأمور يجب تبيانها؟ فهذه هي أهداف الإمام الحسين عليه السلام، وإن خلاصة ولب الثورة الحسينية تتمثل في أن الإمام الحسين عليه السلام مرّ بيوم كان العالم يعيش فيه تحت وطأة الظلم والجور، ولم يكن أحد يمتلك الجرأة على

توضيح الحقائق، الأرض والسماء والزمان كلها كانت مظلمة حتى ابن عباس وعبد الله بن جعفر لم يلتحقا بالإمام الحسين عليه السلام ما معنى هذا؟ ألا يعطي هذا صورة عن الوضع الذي كان يعيشه العالم؟ في مثل تلك الظروف تصدى الإمام الحسين عليه السلام بمفرده، بالطبع كان إلى جانبه عشرات من الأشخاص، الذين لو لم يلتحقوا به لذهب بمفرده للظلم؛ افترضوا لو أن هؤلاء الأشخاص تركوا الإمام عندما قال لهم ليلة عاشوراء: أنتم في حلّ من بيعتي، وغادر أبو الفضل، وعلي الأكبر (عليهما السلام)، وبقي الإمام وحده، ماذا كان سيحصل يوم عاشوراء؟ أكان الإمام يتراجع عن موقفه؟، أم انه كان سيقف ويحارب؟

إن عصرنا هنا أنجب شخصية، قالت لن أتراجع عن هدفي حتى لو بقيت وحيداً أمام العالم. ذلك هو الإمام، ولقد صدق قولاً وفعلاً ﴿**صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾[٦٩].

لاحظتم كيف فعل ذلك الإنسان الحسيني والعاشورائي؟ لو أننا كنا جميعاً عاشورائيين، لصارت حركة العالم نحو الصلاح سريعة جداً، والأرضية ممهدة لظهور ولي الحق. ينبغي تبيين هذا الحق، هذا المعنى للناس عبر الوعظ في مجالس العزاء الحسيني في شهر محرم الحرام، ينبغي على المبلغين أينما كانوا تبيان هدف الإمام الحسين عليه السلام على المنابر وبأساليب شتى. ومن البديهي أن بإمكان المبلغ والخطيب التعرض لحديث أخلاقي جيد جداً، أو شرح سياسة البلاد أو العالم، هذا أيضا جيد، لكن الحديث ينبغي أن يكون بصورة تتبين من خلاله واقعة عاشوراء إما صريحاً أو تلويحاً ولا تبقى مكتومة.

النقطة الثانية: هي أنه ينبغي الاستفادة من هذه الفرصة لنفس العمل الذي قام به الحسين بن علي عليه السلام؛ أعني أحياءه الإسلام بفضل جهاد. ففي الواقع عادت إلى الإسلام الروح بفضل ثمرة دم الحسين عليه السلام وثورته، وأنتم أيضاً اشرحوا في ذكرى ذلك العظيم ومن على منبره الحقائق الإسلامية، وعرفوا القرآن والحديث، واقرأوا للناس نهج البلاغة، وبيّنوا الحقائق

الإسلامية، التي من بينها هذه الحقيقة المباركة التي تجسدت في إيران الإسلامية، أعني نظام الجمهورية الإسلامية، النظام النبوي العلوي الذي يعد من أسمى المعارف الإسلامية، ليس لأحد أن يتصور أن بإمكانه تبيين الإسلام ثم يغفل عن حكومة وسيادة الإسلام التي تجسدت اليوم في هذه الأرض»[٧٠].

الهوامش:

١- مرتضى، جعفر: «مراسم عاشوراء» المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ص ١٧.
٢- البروجردي، بهاء الدين الحجتي: «حاشية على كتاب الأصول» مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ط١، ١٤١١٢هـ، ج١، ص٤٧٠.
٣- الأمين، محسن: «ثورة التنزيه» م.س، ص٢٢.
٤- العاملي، بهاء الدين: «الحبل المتين» مكتبة بصيرتي، قم،١٣٨٩، ص٩٠.
٥- مرتضى، جعفر: «أحيوا أمرنا» المركز الإسلامي للدراسات، بيروت ص ٤٦.
٦- مرتضى:«أحيوا أمرنا» م.س، ص ٤٦.
٧- عبد الوهاب: «عيون المعجزات» م.س، ص٥.
٨- مرتضى: «أحيوا أمرنا» م.س، ص٤٣٤٢.
٩- فضل الله، السيد محمد حسين:«نظرة إسلامية حول عاشوراء» دار الملاك، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص١٤.
١٠- البقرة: ٢١٠.
١١- النراقي، أحمد بن محمد: «المحاسن» تحقيق:السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، د.ط،د.ت، ص٢٦٢، ويمكن مراجعة «سفينة النجاة» ج١، ص ٢٠١.
١٢- فصلت:٤٣.
١٣- ضياع.
١٤- الحج:٢٣.
١٥- اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل هي دمشق نفسها.
١٦- الخليلي، جعفر: «هكذا عرفتهم» منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، ١٤١٢هـق، ص١٢٥.
١٧- الذي قتل الطفل الرضيع في كربلاء، وهو حرملة بن كاهل الأسدي .
١٨- الأمين، محسن: «رسالة التنزيه» ضمن كتاب ثورة التنزيه، دار الجديد، بيروت، ص ،٢٠.
١٩- شريعتي، علي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٦.
٢٠- م.س، المعطيات نفسها.
٢١- شريعتي:«التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م. س، ص ٢٠٦.
٢٢- شريعتي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص ٢٠٧-٢٠٨.
٢٣- شريعتي:«التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص ٢٠٨.
٢٤- شريعتي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص ٢١٧.
٢٥- شريعتي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص٢١٧.

٢٦- شريعتي: «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص٢١٩.

٢٧- شريعتي:«التشيع العلوي والتشيع الصفوي» م.س، ص٢١١.

٢٨- م.ن، نفس المعطيات.

٢٩- شريعتي، علي:«الأمة والإمامة» دار الأمير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ٤٧.

٣٠ - م.س، ص٤٩.

٣١- شريعتي «الأمة والإمامة» م.س، ص ٧.

٣٢- شريعتي «الأمة والإمامة» م.س، ص ٨٤.

٣٣- م.ن، نفس المعطيات

٣٤- حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ضمن كتاب «نهضة عاشوراء» مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني(قده) ، طهران، ص٤٤.

٣٥ خطاب الإمام (قده) في جمع من خطباء وعلماء قم وطهران وآذربيجان الشرقية والغربية بتاريخ ١٧-١٠-١٩٨٢،م.س، ص٥٠.

٣٦- م.ن، نفس المعطيات، م.س، ص٦٦.

٣٧- م.ن، نفس المعطيات،م.٧٤.

٣٨- حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ ، م.س، ص٥٧٥٦.

٣٩- م.ن، نفس المعطيات، ص٦٢.

٤٠- م.ن، خطاب الإمام م.س، في جمع من خطباء وعلماء قم وطهران وآذربيجان الشرقية والغربية بتاريخ ١٧-١٠-١٩٨٢ ،م.س،ص٣٢.

٤١- م.ن، حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ ، م.س، ص٦٢.

٤٢ - م.س، نفس المعطيات، ص٩٠.

٤٣- م.ن، شذرات من توجيهات الإمام الخميني بشأن محرم، م.س، ص١١٢.

٤٤ - م.ن، حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ١٩٨٦٦٢١، م.س، ص٨٤.

٤٥ نصر الله، السيد حسن: «خطاب عاشوراء»، دار الصفوة، ط١ ، ٢٠٠٠، ص ٢٥٧.

٤٦- م.ن، حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦، م.س، ص١٠٩.

٤٧- حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ ،م.س، ص١٥.

٤٨- م.ن، نفس المعطيات،م.س، ص١٤.

٤٩- م.ن، نفس المعطيات،م.س، ص١٨.

٥٠- الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ ،م.س، ص٢١.

٥١- م.ن، حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦، م.س، ص٨٧.

٥٢- الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ ،م.س، ص٢٥.

٥٣- المشهدي، محمد بن: «المزار الكبير» تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، طهران، ط١ ، ١٤١٩هـ، ص٥٠٠.

٥٤- نصر الله: «خطاب عاشوراء» م.س، ص٨.

٥٥- م.ن، حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦، م.س، ص٨٢.

٥٦- م.س، نفس المعطيات.

٥٧- الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦،م.س، ص١١.

٥٨- م.ن، نفس المعطيات، ص١٤.

٥٩- حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ١٩٨٦٦٢١، م.س، ص١٠٨.

٦٠- الخامنئي، الإمام علي عليه السلام «خطاب القائد»؛ الوحدة الإعلامية المركزية، حزب الله، .

٦١ - حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ١٩٨٦٦٢١، م.س، ص١١٠.

٦٢- م.ن، نفس المعطيات.

٦٣- الإمام الخامنئي: «خطاب القائد» م.س، ص ١٨.

٦٤- حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران بتاريخ ١٩٨٦٦٢١، م.س، ص٩٠.

٦٥- السيد نصر الله: «خطاب عاشوراء» م.س، ٢٥٤.

٦٦- ن.م،ص ٢٦٠.

٦٧- المجلسي: «بحار الأنوار» م.س، ج٤٤ص٣٢٢.

٦٨- الانشقاق:٦

٦٩- الأحزاب:٣٢.

٧٠- الإمام الخامنئي: «خطاب القائد» م.س، ص ٢٦-٢٨.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإمام علي:«نهج البلاغة» تحقيق محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

٣- الإمام زين العابدين: «الصحيفة السجادية» تحقيق معهد المعارف الحكمية (للدراسات الدينية والفلسفية)، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٤- ابن أبي جمهور الأحسائي: «عوالي اللئالي العزيزة في الأحاديث الدينية» تحقيق السيد مرعشي والشيخ مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥- ابن قتيبة الدينوري: «الإمامة والسياسة» تحقيق محمد طه الزيني، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،د.ت.

٦- ابن منظور: «لسان العرب» تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٧- أبو حنيفة الدينوري:«الأخبار الطوال» تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠.

٨- الأردبيلي، علي بن عيسى:«كشف الغمة في معرفة الأئمة» دار الأضواء،بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

٩- الأصفهاني، الراغب:«مفردات ألفاظ القرآن الكريم» تحقيق صفوان

عدنان الداوودي، دار القلم، دمشق، ط٢.
١٠- الأصفهاني،أبو الفرج:«مقاتل الطالبيين» تحقيق كاظم الحيدري، المكتبة الحديرية، النجف، ط٢، د.ت .
١١- الإمام الخميني(قده): «حديث الإمام مع علماء ووعّاظ قم وطهران» بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٦ضمن كتاب «نهضة عاشوراء» مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني(قده)، طهران.
١٢- الإمام الخميني(قده): «خطاب الإمام (قده) في جمع من خطباء وعلماء قم وطهران وآذربيجان الشرقية والغربية» بتاريخ ١٧-١٠-١٩٨٢.
١٣- الأمين، محسن :«رسالة التنزيه» ضمن كتاب ثورة التنزيه، دار الجديد، بيروت.
١٤- البروجردي، بهاء الدين الحجتي: «حاشية في علم الأصول» مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ط١، ١٤١١٢هـ.
١٥- الحر العاملي: «تفصيل وسائل الشيعة» مؤسسة إحياء تراث آل البيت عليهم السلام، قم المشرفة، ١٤٠١.
١٦- الحر العاملي: «وسائل الشيعة» تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٧- الحكيم، محسن: «لواعج الأحزان في مقتل الحسين» مكتبة البصيرتي، قم، ١٣٧١.
١٨- الحلي، الحسن بن سليمان: «بصائر الدرجات»المطبعة الحيدرية، النجف المشرفة، ط١، ١٩٥٠م، ١٣٧٧هـ.
١٩- الحلي، الحسن بن سليمان: «مختصر بصائر الدرجات»، دار المفيد، بيروت.

٢٠- الخامنئي، الإمام علي: «خطاب القائد»؛ الوحدة الإعلامية المركزية، حزب الله.

٢١- الخليلي، جعفر: «هكذا عرفتهم» منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، ١٤١٢هـق.

٢٢- رزق الله، رالف «يوم الدم» ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت.

٢٣- الزبيدي، محمد مرتضى: «تاج العروس» مكتبة الحياة، بيروت، د.ط،د.ت.

٢٤- الزمخشري، محمود بن عمر: «الفائق في غريب الحديث» دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢٥- شريعتي، علي: «الأمة والإمامة» دار الأمير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

٢٦- شريعتي، علي:«التشيع العلوي والتشيع الصفوي» ترجمة حيدر مجيد، تقديم إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م،

٢٧- شمس الدين،محمد مهدي: «ثورة الحسين(ع) ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية» المؤسسة الدولية للدراسات،بيروت، ط٧، ١٩٩٦.

٢٨ -شمس الدين،محمد مهدي:«واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي» المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٢٩- الشيخ الطوسي:«اختيار معرفة الرجال» تحقيق ميرداماد ومحمد باقر الحسيني ومهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤.

٣٠- الصدوق: «من لا يحضره الفقيه» تحقيق علي أكبر غفاري، جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.

٣١- الصدوق: «عيون أخبار الرضا» تحقيق الشيخ حسن الأعلمي،مؤسسة

الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٢- الطبرسي:«مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل» تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٣٣- الطبرسي، حسين النوري:«اللؤلؤ والمرجان» دار البلاغة، بيروت، د.ت، د.ط.
٣٤- الطبري، ابن جرير :«تاريخ الأمم والملوك» تحقيق نخبة من العلماء، دار الأعلمي، بيروت.
٣٥ الطوسي: «المبسوط في فقه الإمامية»، تحقيق محمد كاشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٨٧هـ.
٣٦- الطوسي: «مصباح المتهجد» مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١.
٣٧- عبد الوهاب، حسين بن:«عيون المعجزات» نشر محمد الكتبي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩هـ.
٣٨- عبد الوهاب، حسين:«عيون المعجزات» محمد كاظم المكتبي، المطبعة الحيدرية.
٣٩- الفراهيدي:«العين الفراهيدي» تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٧.
٤٠- الفيروز آبادي: «القاموس المحيط» دار الرسالة، بيروت، ط١٩٨٦.
٤١- القمي، جعفر بن محمد: «كامل الزيارات» تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، دار الفقاهة، قم، ١٤١٧.
٤٢- القمي، جعفر: «كامل الزيارات» تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، قم، ١٤١٧.
٤٣- الكليني: «الكافي»، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية،

آخوندي، ط١٣٦٥.
٤٤- كوراني، علي: «معجم أحاديث الإمام المهدي»، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.
٤٥- المتقي الهندي: «كنز العمال» تحقيق بكري الحياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت،د.ط،د.ت.
٤٦- مجلة «حياتنا الليتورجية»، العدد ٢١ الصادر عن مركز دراسات والأبحاث المشرقية في جامعة الأنطونية، بيروت، ٢٠٠٠، لاسيما العدد الأول المخصص لدراسة القربان في الديانات.
٤٧- المجلسي، محمد باقر: «بحار الأنوار» مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ١٩٨٢م.
٤٨- مجموعة من الرواة:«الأصول الستة عشر» دار الشبستري، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٤٩- المراغي عبد الفتاح الحسيني: «العناوين الفقهية»، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي،جماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٠- مرتضى، السيد جعفر: «أحيوا أمرنا»، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت.
٥١- مرتضى، السيد جعفر: «مراسم عاشوراء» المركز الإسلامي للدراسات، بيروت.
٥٢- فضل الله، السيد محمد حسين: «نظرة إسلامية حول عاشوراء»، دار الملاك، بيروت،ط١، ٢٠٠٤.
٥٣- المشهدي، محمد بن الحسن: «المزار الكبير» تحقيق جواد القيومي،نشر القيوم، طهران، ط١، ١٤١٩.

٥٤- معهد تحقيقات باقر العلوم(ع): «كلمات الإمام الحسين(ع)» منظمة الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٦.

٥٥- المفيد: «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت.

٥٦- النجفي، محمد حسن: «جواهر الكلام»، تحقيق عباس القوجاني، دار الكتاب الإسلامي، الآخوندي، قم، ١٣٦٧هـ ش.

٥٧- النراقي، أحمد بن محمد: «المحاسن» تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، د.ط.د.ت.

٥٨- نصر الله، السيد حسن:«خطاب عاشوراء» ، دار الصّفوة، ط١، ٢٠٠٠.